الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر-سعيدة
كلية الآداب واللّغات والفنون
قسم اللغة العربية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس الموسومة ب:

الإعجاز البياني في القرآن الكريم
-أسلوب الالتفات في سورة النّحل أنموذجا-

إعداد الطّالب :
حاج داود عبد الله

الأستاذ المشرف :
أ.د. رويسات محمّد

السنة الجامعية
2017-2018م/1438-1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

الشّعراء:195

إهداء

إلى من قال الله في حقهما: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ اُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا

قَوْلًا كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا﴾

إليكما يا نبض الحياة ، أنتما يا من علماني أنّ العلم لا يكتمل إلا وتاج الأخلاق يعلوه ...حبيباي أمي و أبتي

إلى رفقاء فؤادي إخوتي محمد ، عبد القهار ، أمينة وخديجة.

إلى كل طلبة العلم والعاكفين على التّعليم في المدارس والمساجد والزوايا

وأخص بالذكر مشايخي : قدوري معمر،فليح عبد الكريم ،قينوس أمحمد – حفظهم الله–وإلى كل من علمني حرفا طيلة حياتي الدراسية بجميع أطوارها.

إلى الكثيرين الذين أعرفهم ولا يتسع المقام لذكرهم جميعا.

إلى طلبة اللغة والأدب العربي تخصص لسانيات عامة ، وإلى كل من ساندي في مشواري الجامعي.

تشكُّر

شكرا للواحد الأحد الذي علّم بالقلم والذي لولاه لما

أتممت هذا العمل

وشكري لله يكون من شكري للناس ، وامتثالا لذلك

فإنّي

أتقدّم بالشكر الجزيل والتقدير العميق للأستاذ المشرف

الدّكتور : "رويسات محمّد" الذي منحني توجيهاته

مُقَدِّمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، لقد اهتم علماء العربية بالدّرس اللغوي منذ القدم وأولوا اهتمامهم بعلم البلاغة بمختلف فروعه، حيث جعلوا هذا الأخير محطة وقوف لأجل معرفة أسرار القرآن ومعرفة الإعجاز اللغوي فيه، فراحوا يغوصون فيه ويفتشون بغية اكتشاف أسراره وخباياه التي لاتحصرها أية دراسة، فانكب العديد من العلماء في هذا المجال وراحوا يؤلِّفون حتى شهدت مكتباتنا العربية زخما معرفيا وعلميا محضا بهذا الشأن، ومن المواضيع التي تناولها علماء اللغة في كتبهم وأولوها العناية الخاصة أذكر أسلوب الالتفات لما فيه من أهمية في معرفة البلاغة العربية عموما ومعرفة مواطن الإعجاز في البلاغة القرآنية على وجه الخصوص، ولذا كان هذا الموضوع محط اهتمامي فاخترته كأسلوب من أساليب الاعجاز البياني في القرآن، حيث كان موضوع البحث هو : الإعجاز البياني في القرآن – الالتفات في سورة النحل أنموذجا، ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع لأسباب لعل أهمها :

- الميل الشخصي للمواضيع المتعلقة بعلوم القرآن.

- الرغبة في إثراء الرصيد المعرفي.

- معرفة مواطن الإعجاز لهذا الأسلوب.

وسعيت من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على سورة النحل لاشتمالها على جل الأمثلة المذكورة في الجانب النظري، وقد اقتضت الدراسة طرح الإشكالية التالية : إلى أي مدى يسهم أسلوب الالتفات في الإعجاز القرآني ؟ و ما هي مواطن الالتفات في سورة النّحل ؟ وماهي أغراضه؟

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فكان المنهج الوصفي التحليلي، والهدف من هذا البحث هو معرفة الخصائص البلاغية التي مثلها أسلوب الالتفات في سورة النّحل، وتمكين الباحث من الإطلاع ولو بالشيء القليل على معرفة بعض مواطن الإعجاز في السورة، بالإضافة إلى تمهيد الطريق للباحث والسالك في هذا الإتجاه إلى تزويده وإطلاعه على بعض أمهات الكتب، وللإجابة عن الإشكالية المطروحة تطلب البحث خطة مكونة من فصلين مسبوقين بمقدمة ومدخل يحتوي على مفاهيم ومصطلحات تتضمن الإعجاز البياني بشكله العام من تعريف و شروط وأمثلة على ذلك وقد عنونت الفصل الأول بـ: أسلوب الالتفات مقسما إيّاه إلى ثلاثة مباحث حوى المبحث الأول : الماهية والمبحث الثاني حوى آراءً للقدامى والمحدثين والمبحث الثالث : تضمّن أقسام وأهداف الالتفات ، أما الفصل الثاني فقد عنونته بـ :مظاهر الالتفات في سورة النّحل حيث قسّمته هو الآخر إلى ثلاثة مباحث اشتمل المبحث الأول على التعريف بالسورة والمبحث الثاني تحدث فيه عن موضوعات السّورة وأما المبحث الثالث فتناولت فيه مواضع الالتفات في السورة .

ولتحقيق أهداف هذا البحث اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أورد بعضا منها فقد استوجبت مني الدراسة الاعتماد على القرآن الكريم أولا وكتب للبلاغة أذكر منها البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها البلاغة تطور وتاريخ كتاب البديع وكتاب الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع وكتاب البرهان في علوم القرآن وغير ذلك من كتب البلاغة بالإضافة إلى اعتمادي جملة من التفاسير أذكر من بينها : الكشاف، التحرير والتنوير، الجامع لأحكام القرآن، تيسير الكريم الرحمن ، روح المعاني، مهذب الجلالين مختصر ابن كثير وغيرها من التفاسير بالإضافة الى اعتمادي

على الكتابة المغاربية والتي تحويها مصاحف ورش رحمه الله ومن المعاجم اعتمدت على معجم لسان العرب، معجم التعريفات، المعجم الوسيط ، معجم مقايس اللغة وما إلى ذلك من معاجم، ومن أهم الصعوبات التي واجهتني تشابك المعلومات واختلافها بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع الذكر الحكيم وإصدار الأحكام عليه .

وإنه لمن الواجب على أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير لأستاذي القدير: الأستاذ الدكتور رويسات محمد الذي أشرف علي في هذا البحث متابعة وتوجيها،وأخيرا أرجوا من الله أن أكون حققت ما أصبوا إليه وان كان بسيطا فهو عمل نافع ومفيد .

مدخل: الإعجاز البياني في القرآن

1-مفهوم الإعجاز

2-شروط المعجزة

3-مظاهر الإعجاز البياني في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فإنّ اللغة العربية نشأت في أحظان القرآن الكريم خدمة له وتقربا لفهمه وصونا للسان العربي فهو المنبع العذب وهو المعجزة التي تحدى بها المولى عزّ وجل العرب على أن يأتوا بمثله قال عزّ وجلّ :﴿ قُل لَّئِنِ إِجْتَمَعَتِ إِلانسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَاتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ –سورة الإسراء :الآية 88– فهو معجز بألفاظه وتراكيبه وحروفه وأساليبه بل بكل ما فيه، هذا الذي جعله محط أنظار أهل العلم وطلابه، وجعله يغوصون فيه لاكتشاف أسراره وخباياه [1].

فإذا تأملت القرآن الكريم فإنك لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وشكلا من نظمه، وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والرقي في أعلى درجاته [2].

هذا ما دلّ عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ لاَّ يَاتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ –سورة فصّلت :الآية41 /42 –وعليه فإنّ القرآن الكريم معجزة الله عزّ وجل التي أجراها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلّم، فتحدى بها العرب قاطبة لماله من أسلوب فذ ومعان تفحم القاصي والداني والمؤمن والكافر ومقاصد شريفة تبهر أولي الألباب هذا

[1] عمار ساسي – الإعجاز البياني في القرآن الكريم – دراسة نظرية للإعجاز في الآيات المحكمات – دار المعارف للإنتاج والتوزيع –بوفاريك – البليدة –الطبعة الأولى – 2003– الجزء الأول – ص:09.

[2] بدر الدّين الزركشي – البرهان في علوم القرآن –ترجمة محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الأولى –القاهرة –1957م – ص:223.

الذي دفع العلماء والباحثين إلى دراسة إعجازه والكشف عن بعض خباياه منذ القدم رغم تأخر ظهور المصطلح، وذلك راجع برأينا إلى أنّ المعاني أسبق دائما من الألفاظ كما ذكر ذلك الجرجاني، فإنّه حينما نقلب تاريخنا العربي نجد أن أول من أشار الى قضية الإعجاز البياني هو الجاحظ في كتابه نظم القرآن، حيث تردد فيه بين الصدفة وغريب التأليف لكن لم يصل إلينا منه شيء ثم تبعه جماعة من اللغوين أمثال الإمام الرماني في كتابه النكث في إعجاز القرءان والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم وغيرهم كثر، ومن خلال هذا لا يمكن ان نستنتج أن كلمة معجزة لم تستعمل حتى في الوقت الحاظر بل بمكن أن نؤكد أن المصطلح لم يكن شائعا حتى في الوقت المتأخر ،إذ يظهر أن أول كتاب عنون باسم الإعجاز هو كتاب محمد بن يزيد الواسطي وكان ذلك في أواخر القرن الثّالث من الهجرة ثم توالت بعده المؤلفات وشاع المصطلح بعد ذلك.

وعليه فإنّ ظاهرة الإعجاز قد تناولت سابقا عند الاقدمين والمحدثين رغم تأخر المصطلح، حيث وجدنا أنّ أول من أشار اليه الجاحظ في كتابه نظم القرءان ، وأن أول من استعمل المصطلح محمد بن يزيد الواسطي في كتابه نظم القرآن، وقد شغلت هذه الظاهرة قديما وحديثا بال المتكلمين والباحثين[1].

وفي هذا المقام أعرض جملة من التعاريف الواردة عن المؤلفين الذين تحدثوا عن الاعجاز والمعجزة.

[1] نفس المرجع السابق – عمار ساسي – ص :32و72 (بتصرف).

1-مفهوم الإعجاز لغة واصطلاحا :

- في اللغة :

قال الإمام الجوهري : العجز : الضعف، تقول عجزت من كذا اعجز بالكسرة عجزا ومعجزة وعجزا بالفتح على القياس ..... والتعجيز والتنطيط وكذلك إذا نسبته إلى العجز .. والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء [1].

وقال الراغب الأصفهاني : العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره ...والعجز ضد القدرة قال عز وجل:﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنَ اَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ المائدة 31، ونقول أعجزت فلانا وعاجزته أي جعلته عاجزا ...والعجوز سميت عجوزا لعجزها في الكثير من الأمور، قال عزّ وجلّ: ﴿ إِلاَّ عَجُوزاً فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾-سورة ص: الآية 135[2].

وقال الزمخشري : في كلمة معجزة (عجز) طلبته فأعجز ، وعاجز إذا سبق فلم يدرك وإنّه لمعجوز : مشمود وهو من عاجزته أي سايقته فعجزته .... وعجز فلان عن العمل إذا كبر [3].

وقال ابن منظور : العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز ، وعجز عجزا فيها ورجل عجز وعجز :عاجزا وامرأة عاجز : عاجزة عن الشيء برأينا [1].

---

[1] الجوهري – الصحاح – دار الحظارة العربية – بيروت – الجزء الثاني – ص : 31

[2] الراغب الاصفهاني – معجم مفردات القرآن – نقلا عن كتاب : عمار ساسي – الإعجاز البياني في القرآن – ص :74.

[3] الزمخشري – أساس البلاغة – دار المعرفة –بيروت – ص 243.

وذكر ابن فارس : أنّ العين والجيم والزاي تدل على أصلين احدهما الضعف والأخر مؤخر الشيء [2].

أما إبراهيم أنيس فقد عرفه بأنه مشتق من الفعل أعجز بمعنى الفوت والسبق يقال أعجزني فلان أي فاتني وقال الليث : أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه إدراكه [3].

إنه ومن خلال التعاريف اللغوية السابقة يتضح أم المفهوم الشامل للفظة – عجز- هي القصور وعدم القدرة على الفعل ،وقد وردت مشتقات لفظ عجز في ستة وعشرين موضعا في القرءان ذكرها محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه وهي:

أعجزت: ﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنَ اَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾- المائدة 31.

نعجز :﴿ وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِے ٱلاَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَباً ﴾ -الجن 12.

ليعجزه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِے ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلاَ فِے ٱلاَرْضِۚ﴾ -فاطر 44.

يعجزون: ﴿ وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾ -الأنفال 59.

معاجزين:﴿ وَالذِينَ سَعَوْاْ فِےٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ اُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾-الحجّ 51.

معاجزين:﴿وَالذِينَ سَعَوْ فِےٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ اُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ اَلِيمٍ ﴾ -سبأ05.

---

[1] إبن منظور – لسان العرب – دار اللسان العربي – بيروت –الجزء الثاني –ص : 691.

[2] أحمد بن فارس –معجم مقايس اللغة –تح عبد السلام هارون – مط مصطفى البابي الحلبي – ط2 سنة 1969م –مج 4- ص : 232.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون – المعجم الوسيط – ط2-ج1-ص 43/42.

معاجزين: ﴿ وَالذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾-سبأ 38.

بمعجز: ﴿ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلاَرْضِ﴾ -الأحقاف 32.

معجزي: ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ -التوبة 02.

معجزي: ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ﴾ -التوبة 03.

بمعجزين: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ -الأنعام 134.

بمعجزين:﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾-يونس 53.

بمعجزين:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلاَرْضِ ﴾-هود 20.

بمعجزين:﴿ قَالَ إِنَّمَا يَاتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾-هود 33.

بمعجزين :﴿ أَوْ يَاخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ -النّحل 46.

بمعجزين: ﴿لاَ تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلاَرْضِ ﴾-النّور 57.

بمعجزين: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلاَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ -العنكبوت 22.

بمعجزين: ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ -الزّمر 51.

بمعجزين: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ ﴾ -الشّورى 31 [1].

من خلال ما سبق من سرد للآيات يشر الأستاذ نعيم الحمصي الى أنه لم ترد مطلقا لفظة المعجزة والإعجاز في كتاب الله عزّ وجلّ، ويتابع قائلا لم يرد في القرءان لفظ معجزة أو إعجاز وإنّما جاء في ألفاظه آية برهان سلطان وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة [2].

والذي يتضح لي أنه صحيح ما ذهب إليه الأستاذ نعيم حين ذكر أن لفظ الإعجاز لم يرد بهذه الصيغة، غير أنه يبدو لي أنّما ذهب اليه من خلال ما ذكر من الكلمات لا ترادف كلمة معجزة غير ذلك، فالمرادفات التي ذكرت وإن لم ترادف اللفظة ترادفا تاما فإنها ترادفها في سياقها العام فمثلا : لفظة معجزين في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَاخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾-النّحل 46، جاء تفسر القرطبي رحمه الله في قوله فما هم بمعجزين أي سابقين الله ولا فائتينه [3] .

وذكر القرطبي رحمه الله في نفس السياق تفسير قوله عزّ وجلّ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ ﴾ -هود 20 ، أي فائتين من عذاب الله وقال ابن عباس رضي الله عنه لم يعجزوني أن أمر الارض فتخسف بهم [4].

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقي-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن-نقلا عن مذكرة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن-إعداد الطالب موسى الحشحاش تحت عنوان :الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية-دراسة تطبيقية في سورة النساء-الجامعة الإسلامية غزة-ص:12.

[2] نعيم الحمصي-فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر-مؤسسة الرسالة-ط 2-1980-ص7.

[3] الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-مج 05-ص109.

[4] نفس المرجع السابق-ص18.

إصطلاحا:

عرفوا الإعجاز بقولهم هو إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم.

وفي هذا يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: أجمع عامة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والفرق المختلفة أن القرءان معجز[1].

ويعرفه الأستاذ محمد علي الصابوني بقوله : إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، وليس المقصود من إعجاز القرءان هو تعجيز البشر لذات العجز ، أي تعريفهم بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن فإنّ ذلك معلوم لدى كل عاقل إنّما الغرض هو إظهار ان هذا الكتاب حق وأنّ الرسول الذي جاء به رسول صادق وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام[2] .

أما الرافعي فيرى أن الإعجاز شيئان : أحدهما ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة مزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، وثانيهما : استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه[3] .

وعرفها السيوطي بقوله : اعلم أنّ المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتّحدي سالم عن المعارضة [4].

[1] عمار ساسي-الإعجاز البياني في القرآن الكريم-ص75.

[2] محمد علي الصابوني-البيان في علوم القرآن-دار شهاب-ص83.

[3] مصطفى صادق الرافعي-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية-تاريخ آداب العرب-دار الكتاب العربي-ج02-ص139.

[4] جلال الدين السيوطي-الإتقان في علوم القرآن-تح أحمد بن علي –دار الحديث-ج4-2004م-ص03.

وعرفها عبد القاهر البغدادي بقوله : وحقيقة المعجزة عند المتكلمين : ظهور أمر خارق للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى عن المعارضة [1].

وعرفها عبد الرحمن الميداني بقوله : أمر ممكن عقلا، خارق للعادة، يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوته، وصحة رسالته[2].

وعرفها أبي عبد الله القرطبي بقوله : وسميت معجزة لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختلّ منها شرط لا تكون معجزة[3].

وعرفها عبد السلام لوح بقوله : إنّ المعجزة هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي على وفق مراده على وفق مراده تصديقا له في دعواه مقرونا بالتحدي مع عدم المعارضة، وذلك كله في زمن التكليف[4].

الذي يتضح من خلال هذه التعاريف أن المفهوم الشامل للمعجزة بأنها أمر خارق للعادة أتى بها نبي من الأنبياء في زمن من الأزمنة تحدى بها من كانوا في زمانه ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثلها ومثال ذلك

[1] عبدالقاهر البغدادي –أصول الدين–ط1–استانبول– مط الدولة –1928م–ص170.
[2] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني –العقيدة الإسلامية وأسسها–دارالقلم–بيروت–ط2–1979م–ص338.
[3] أبي عبد الله القرطبي –الجامع لأحكام القرءان –مج1–ص79.
[4] موسى الحشحاش– مذكرة ماجستير في التفسير وعلوم القرءان –ص14.

معجزة القرآن لسيّدنا رسول الله ﷺ التي أظهرها الله على نبيه ،لإظهار صدق نبوته وليتحدّى بها العرب.

2-شروط المعجزة :

ذكرها القرطبي رحمه الله في تفسيره وهي :

الشرط الأول : أن تكون ممالا يقدر عليها إلا الله سبحانه، لأنه لو أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرسل وادعى الرسالة وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد، لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة له ولا دالا على صدقه لقدرة الخلق عليه وإنما يجب ان تكون المعجزات : كفلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها مما لايقدر عليه البشر .

الشرط الثاني : هو أنّ تخرق العادة، كما فعل ذلك بالأنبياء كتحول عصا سيّدنا موسى عليه السلام إلى ثعبان، وكشقه للبحر حين صار يبسا بإذن ربه وغيرها من معجزات الأنبياء .

الشرط الثالث : وهو أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عزّ وجلّ ، فيقول آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا أو يحرك الأرض عند قولي لها زلزلي فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به.

الشرط الرابع : هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له، لأنه لو حدث عكس ذلك لم تكن معجزة وهذا ماحدث لمسيلمة الكذاب مدعي النبوة، فإنّه حين تفل في بئر

ليكثر ماؤها غارت البئر وذهب ماؤها، فما فعله المولى عز وجلّ من هذا كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يديه لأنّها وقعت خلاف ما أراده المتنبئ الكذّاب .

الشرط الخامس : ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، فإن تم أمر المتحدي به المستشهد به على النبوة على هذه الشرط من الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده[1].

إن المتتبع لكلام القرطبي يفهم من خلال كلامه أنّ: للمعجزة خمسة شروط وهي : أولا عدم قدرة البشر على الاتيان بمثلها وثانيها أن تكون خارقة للعادة وثالثها الاستشهاد عبى مدعي الرسالة بالمولى عزّ وجلّ ورابعها موافقة دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها وخامسها ألا يأتي بمثلها أحد على وجه المعارضة، فإن اجتمعت كل هاته الشروط دالة على صدق النبوة.

وأما شروط المعجزة عند الدكتور مصطفى مسلم فقد حددها بسبع شروط وهي :

الشرط الأول : أن تكون المعجزة من الأمور الخارقة للعادة، سواء أكان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال كتسبيح الحصى وحنين الجذع ومثل القرآن الكريم أو يكون من قبيل الفعل كانفجار الماء من بين أصابع النبي ﷺ وتكثير الطعام القليل، أو من قبل الترك كعدم إحراق النار لسيّدنا إبراهيم عليه السلام وعدم إغراق الماء لسيدنا موسى عليه السلام ومن كان معه.

[1] أبي عبد الله القرطبي –الجامع لأحكام القرءان –مج1–ص71.

الشّرط الثاني: أن يكون الخارق من صنع الله تعالى وانجازه قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَد اَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ اَنْ يَّاتِيَ بِاٰيَةٍ اِلاَّ بِاِذْنِ اللَّهِ فَاِذَا جَآءَ امْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ -غافر 78.

الشّرط الثّالث : سلامتها من المعارضة : فلو استطاع الخصم أن يآتي بمثل ماجاء به النبي بطلت حجته ولم يسلم له ادعاؤه أن هذا الامر دليل على صدقه وأمارة على بعثته من قبل الله سبحانه .

الشرط الرابع : أن تقع على مقتضى من يدعيها : وذلك أن تكون موافقة لقول مدعيها غير مخالفة له سواء كان هذا مطابقا لطلب المعاندين أو مخالفا له، لأنّ الرسول يبلغ عن أمر ربه في تحديد نوع المعجزة وزمنها ولادخل له في هذا التعين، فإذا جاءت المعجزة على وجه غير الوجه الذي عينه الرسول لم تكن دليلا على صدقه.

الشرط الخامس:التّحدي بها وهذا شرط أساس في المعجزة لإثبات عجز الجاحدين و إقامة الحجة عليهم ، والتّحدي يكون بالقول الصحيح وذلك بأن يقول الرسول: دليل صدقي وصحت ماجئت به هو عجزكم عن الإتيان بمثل هذا الأمرالذي أفعله وهو الغالب في معجزات الرسل عليهم السلام، ﴿.... وَرَسُولًا اِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِاٰيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ اَنِّيٓ اَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَاَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِاِذْنِ اللَّهِ وَاُبْرِئُ الاَكْمَهَ وَالاَبْرَصَ وَاُحْيِ الْمَوْتىٰ

بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَاكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْۚ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ﴾ ال عمران 49.

الشرط السّادس : أن يشهد بها مدّعي الرسالة على الله عزّ وجل : أي يجعلها الرسول دليل على صدق رسالته لإثباتها ، ونسب هذا الأمر إلى الله عزّ وجل كأن يقول مثلا : آيتي أن يقلب الله تعالى هذه العصا ثعبانا.

الشرط السّابع : وهو تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة ، لأنه بمثابة الشاهد ولا يقوم الشاهد إلا بعد قيام الدعوى، أما إذا تقدم على دعوى الرسالة فيكون من قبيل (الإرهاص)، وهي الأمور التي تتقدّم على الرسالة وتمهّد لها كتظليل السحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة [1].

من هنا يتضح لي أن شروط المعجزة لا تكاد تختلف بين ما وضعها القرطبي في تفسيره وبين ما وضعها مصطفى مسلم في كتابه كثيرا، إلا ما وجدت من زيادة شرطين زادهما مصطفى مسلم وهما الشرط الخامس والمتمثل في التحدي بالمعجزة، والشرط السابع والممثل في أمور ما قبل الرسالة، هذان الشرطان لم يذكرها القرطبي مع الشروط بل اكتفى بخمس شروط فقط وزاد مصطفى مسلم هذين الشرطين،وربما يرجع عدك ذكر القرطبي لهما لبديهيتهما أو لتعليقة لهما في ثنايا الكلام المذكور سابقا فيما تعلق بالتحدي والله أعلم.

[1] مصطفى مسلم – مباحث في إعجاز القرآن –دار مسلم –الرياض – ط2-1996م/1416-ص 15-16.

3-مظاهر الإعجاز البياني في القرآن :

تعددت مظاهر الاعجاز البياني في القرآن وتنوّعت، حيث تناولها الكتّاب والباحثون ودونت في صفحات الكتب والرسائل ورغم ذلك لا تكاد تحصى أو تعدّ ومما جاء في هذه المظاهر:

1/ الخصائص العامّة للأسلوب القرآني :إنّ القرآن يتميز بأسلوب يبهر عقول البشر، فهو أروع أسلوب بلاغة وفصاحة ورغم أنّه يتكون من نفس أحرف البشر لكن البشر لا يستطيعون أن يظاهوه.

هذا الأسلوب هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله وهو الذي قطع العرب دون المعارضة واعتقلهم عن الكلام فيه وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم يتلكأون فلما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعينهم متساوقة غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه ونسق حروفه في كلماته ما أذهلهم وأعجزهم خبى أحسوا بضعف الفطرة القوية وأيقنوا أنه وجه الكمال اللغوي الذي لا يمكن تحديه .

فالقرآن الكريم خارج عن المألوف من نظام جميع كلام العرب فله اسلوب يميزه عن سائر الكلام إذ لا هو بالشعر ولا هو بالنثر لما له من تأثير لا تجده إلا فيه [1].

2/ **الخصائص المتعلقة بجمال المفردة القرآنية وصياغتها** : والتي من مزاياها وخصائصها جمال وقوعها في السمع واتساقها في المعنى واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات من المعاني والمدلولات ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾-التّكوير

[1] خالدي نسيمة وخالدي فهيمة – الاعجازالبياني في القرآن الكريم دراسة في حروف العطف –مذكرة ماستر-جامعة بجاية –ص 16/15.

18/17، ففي هاتين الكلمتين «عسعس» و«تنفس» تشعر أنها تبعثان في خيالك صورة المعنى محسوسا مجسما [1].

فإن المتأمل في الألفاظ القرآنية يدرك إعجازا بلاغيا في خيارها واستعمالها وتركيبها فالإعجاز في لفظ الفلق تتجلى في المقام فنجد مما وصف به ربّنا عزّ وجل نفسه في القرآن: «فالق الحب والنّوى»و «فالق الإصباح»، فهما من أسمائه تعالى ومواقع هذه الألفاظ تضاف إلى كلمة رب في القرآن كمواقع أسماء المخلوقات التي أقسم الله بها كلاهما عجيب معجز فكل لفظة تستعمل في المقام الذي يناسبها وتناسبه[2].

3/ الإعجاز في قصص القرآن :فالقصة القرآنية لون من ألوان الهداية في هذا الكتاب المعجز وهي الحق كل الحق والصدق كل الصدق في تسجيل الوقائع والأحداث كما أنها منبر اشعاع فياض في تقويم النفس البشرية متمثلا كل ذلك في تسلسل أحداثها وارتباط موقفا وإثارتها وعقدها وواقعيتها ولا ريب في ذلك فهي تنزيل من حكيم حميد فهي تبلغ غاية الروعة والجمال سواء في الأداء أو في تحقيق الغاية من العبارة وجمال الأسلوب [3].

فالقرآن الكريم يختصر الكلام في تصوير القصة القرآنية وفق مراحل تاريخية مديدة بأسلوب متين وتصوير بياني عجيب ذلك الشيء الذي يجعل القارئ يعيش تلك المرحلة نفسيا من قوة التعبير كل

[1] مركزتفسير للدراسات القرآنية –بعنوان :الإعجازا لبياني واللغوي في لبقرآن الكريم–للناشرراغب السرجاني–تاريخ النشر20ربيع الاول1436هج
[2] مجلة تدبر–بحث بعنوان إعجاز القرآن عند عبد الحميد بن باديس جكعا ودراسة –للناشر نبيل بن أحمد بهلي–العدد الأول–السنة الأولى –ص48.
[3] محمد عمر باحذق–في إعجاز القرآن–أسلوب القرآن بين الهداية والإعجاز البياني–دار مافون للثرات–الطبعة الأولى 1994م–ص224.

ذلك في كلمات معدودات وجمل قليلة مما لا يستطيعه أي بشر مهما أوتي من بلاغة وفصاحة ومثال ذلك ما ذكره ابن باديس في تفسير سورة سبأ حين ذكر قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ يُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾-سبأ 19/15، فقال ليس المقام مقام تبسط في وجوه البلاغة المعجزة التي تنطوي عليها هذه الآيات فقد استوعبت تاريخ أمة وصورت لنا أطوارا اجتماعية في جمل قليلة لا يتسع لحملها إلا اللسان العربي[1] .

وعليه فإنّ المتأمل في ألفاظ القرآن النّاظر في أسلوبه يقف منبهرا حائرا فإنه يجد أن كل لفظة وكل آية وضعت في المكان المناسب لها وإن كانت اللفظة أو الجملة متكررة كما ذكرنا سابقا تعددت مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم وتنوعت ولعل المتتبع لكتب المتقدمين و المتأخرين يدرك جيدا هذا التعدد والتنوع والذي ذكرت منه على وجه الاختصار لا على وجه الحصر الأسلوب القرآني بشكل

[1] مجلة تدبر –الناشر نبيل بن أحمد البهلي- ص49.

عام ومظهر القصص القرآني بالإضافة إلى جمال اللفظة القرآنية وحسن صياغتها مستشهدا على بعض المواضع بآيات قرآنيه وإضافة إلى الذي ذكرت آنفا فإنّ من بين مظاهر الإعجاز البياني في القرآن التي عنيت بالدارسة وتناولها الأقدمون والمحدثون، وكذالك تناولتها الأبحاث والدراسات اللغوية أسلوب الالتفات ، والذي هو لبّ الدراسة في هذا البحث.

الفصل الأول :في أسلوب الالتفات

1-ماهية الالتفات

2-آراء القدامى والمحدثين

3-أقسام وأهداف الالتفات

1-ماهية الالتفات :

مفهوم الالتفات لغة واصطلاحا :

لغة : جاء في لسان العرب في مادة (ل ف ت) : « لفت : لفت وجهه عن القوم : صرفه والتفت التفاتا ، والتفلت أكثر منه . وتلفّت إلى الشّيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه ، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ اِلاَّ اِمْرَأَتَكَ ﴾- هود 81، أمر يترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب، وفي الحديث: فكانت مني لفتة، هي المرّة الواحدة من الالتفات . واللّفت اللّي . ولفته يلفته لفتا : لوّاه على غير جهته ، وقيل : اللّي هو أن ترمي به إلى جانبك . ولفته عن الشيء يلفته لفتا : صرفه . واللّفت صرف الشيء عن جهته، كما تقبض على عنق إنسان فتلفته . وأصل اللفت : لي الشيء عن الطريقة المستقيمة . واللفوت من النّساء : التي تكثر التلفّت[1].

وجاء في المعجم المحيط "لفته يلفته : لوّاه وصرفه عن رأيه : ومنه الالتفات والتلفت واللحاء عن الشجر: قشره واليش على السهم وضعه غير متلائم واللفت بالكسر : السلجم . واللفتاء: الحولاء ، والعنزة إعوجّ قرناها[2].

وجاء في معجم التعريفات " الالتفات : هو العدول عن الغيبة أو الخطاب ، أو التكلّم ، أو العكس[1].

---

[1] ابن منظور – لسان العرب –مادة (ل ف ت) – دط دار صادر – بيروت – دت- مج 2-ج2 –ص 84-86.

[2] الفيروز أبادي – القاموس المحيط - مادة (ل ف ت) – تح محمد نعيم العرقسوسي – دط مؤسسة الرسالة – بيروت –ط8- 1426هج /2005م –ص159

اصطلاحا : هو الانتقال بالأسلوب من صيغة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ شرط أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المتلفت عنه بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد عليه الضمير الأول [2].

أو هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر "أي نقل الكلام من أسلوب إلى آخر من التكلم إلى الخطاب أومن الخطاب إلى الغيبة إلى غير ذلك [3]. وهو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثّلات: التّكلم/ الخطاب/الغيبة [4].

وعرّفه عبد العزيز قليقلة بأنّه :" الانتقال في الكلام من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر غائب إلى حاظر، أو من مفرد أو مثنى أو جمع على عكس ذلك[5] .

وعليه فإنّ كلاً من التّعريف اللغوي والاصطلاحي يشتركان في التّحويل والانصراف.

[1] الشريف الجرجاني – معجم التعريفات –تح محمد صدّيق المنشاوي – دط دار الفضيلة – القاهرة – دت –ص 32

[2] عبد القادر حسين – فن البلاغة –دط- دار عالم الكتب – دت – ط1 –ص 270.

[3] عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني – البلاغة العربية أسسها ، علومها ، فنونها – دط دار القلم – دمشق –ط1 -1996 –ج1-ص479.

[4] نفس المرجع – ص 479 .

[5] عبد العزيز قليقلة – البلاغة الإصطلاحية –دار الفكر العربي –القاهرة -1412هج/1992م-ط3 –ص317.

2-آراء القدامى والمحدثين في الالتفات :

2-1/ القدامى :

اختلف القدامى في تسمية هذا الأسلوب حيث أشار إليه كل واحد منهم وجعله في باب من أبواب البلاغة الذي يراها هو فمنهم من جعله تحت مبحث البديع ومنهم من جعله تحت علم البيان ومنهم من جعله تحت علم المعاني، ويعد أبو عبيدة معمر بن المثنى من أوائل اللّغوين الذين تحدثوا عن الالتفات في ثنايا كتابه مجاز القرءان الذي ألفه لتفسير بعض الألفاظ والمعاني القرآنية . فتراه يقول: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد تم تركن وحولت مخاطبته هذه الى مخاطبة الغائب إلا أن أبا عبيدة لم يسمه بالالتفات، بل سماه الترك والتحويل كما جاء في قوله .ثم تبعه جماعة في ذلك أبو زكرياء الفراء غير أنه لم سماه الانتقال وأشار إليه ابن قتيبة في كتابه "تأويل القرآن " وأدرجه في ظاهرة اللفظ ومعناه .ويرجع الفضل في تسمية المصطلح إلى الأصمعي حسب ما ذهب إليه شوقي ضيف حيث قال: " ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الأصمعي أول من اقترح للالتفات اسمه الاصطلاحي في البلاغة [1].

لقد عرف أسلوب الالتفات منذ القدم في كتب الأقدمين حيث يعد أبو عبيدة أول من تحدث عنه من خلال ما ذكره من أقسام لكنه لم يعرف عندهم بهذا الاسم .بل يرجع الاسم المصطلحي حسب ما ذكره شوقي ضيف عن الأصمعي .

[1] شوقي ضيف – البلاغة تطور وتاريخ – دار المعارف – القاهرة –دت –ط9–ص 29-31 .

والمتتبع لكتاب " فقه اللغة وسر العربية " لأبي منصور الثعالبي يجده يتحدث عن الالتفات في الفصل الثّامن والتّسعين قائلا : " هو أن تذكر الشيء وتتم معنى الكلام به، ثم تعود كأنّك تلتفت إليه "كما قال أبو الشّعب: فارقت شعبا وقد قوست من كبري ... لبست الخلتان الشكل والكبر

ومثل لقول جرير :

أتذكر يوم تصق عارضيها ... بعود بشامه تسقي البشامة

فهو بذلك يظهر تأثره بسابقيه ، حيث أن الالتفات عنده لا يتجاوز ما رواه الأصمعي لجرير[1] .

أما ابن رشيق فقد تحدث هو الآخر عن الالتفات وأورد له بابا خاصا في كتابه " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، فجمع فيه بين الالتفات والاعتراض والاستدراك .... وسبيله أن يكون الشاعر آخذا في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول ومثل لقول كثير :

لو أن الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم اعتراض كلام في كلام عند ابن المعتز الذي خصص له بابا بعد باب الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما [2].

[1] أبي منصور الثعالبي – فقه اللغة وسر العربية –تح ياسين الأيوبي – دط المكتبة العصرية –بيروت –2000م –ط2 –ص 440

[2] ابن رشيق الأزدي – العمدة في محاسن الشعر ونقده – تح محمد محي الدين عبد الحميد – دط دار الجليل –بيروت –1981م–ط5–ص 45

وعليه فإن المتتبع لرأي ابن رشيق في هذا الأسلوب يجد أنّه يجمع بين الاعتراض والالتفات وهذا لم ير به من جاء بعده أمثال الباقلاني فإنه يرى أن هذا الأسلوب اعتراضا وليس التفاتاً .

ونجد أن ابن المعتز هو الآخر قد تناول هذا الأسلوب في كتابه "البديع " مدرجا إياه تحت ما أسماه "محاسن الكلام " حيث عرّفه بقوله : هو انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر كقوله عزّ وجل: « حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة-يونس 22 ، ومثّل لذلك بأبيات شعرية نذكر منها ما رواها عن جرير حين قال :

متى كل الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتعا الخيام

أتنسى يوم تصقل عارضيعا ... بعود بشامة سقي البشام

ثم عاد قائلا : . .. . لوسمتهم أكل الخنزير لطاروا [1]

كما أن ابن المعتز يرى أن الالتفات نوعين :

نوع ينصرف فيه المتكلم عن المخاطبة الى الإخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ، ونعو ثان ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر أو بعبارة أدق : بعد أن يفرغ من المعنى وتظنّ أنّه سيجاوزه يلتفت إليه . فيذكره بغير ما تقدم ذكره كقول جرير :

[1] عبد الله بن المعتز-كتاب البديع – تر: اغناطيوس كراتشفوفسكي –دط دار المسيرة – بيروت -1982 م-ط3 –ص 58

أتنسى إذ تودعنا سليمي ... بعود بشامة ، سقي البشام

طرب الحمام لذي الأراك...لازالت في غلل وأيك ناظر[1]

أما ابن جنّي فقد ذكر الأمر ذاته في كتابه الخصائص، فهو كذلك لا يذكر الالتفات باسمه، وإنّما ذكر ماله صلة به في فصل من فصول " باب شجاعة العربية "، سماه: " في الحمل على المعنى " تناول فيه تأنيت الذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد وغير ذلك ممثلا لكل ذلك بشواهد قرآنية وشعرية [2].

وأبو هلال العسكري يخصص فصلا للالتفات في كتابه "كتابة الصناعتين" فالالتفات عنده ضربان :

1/ فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكر ما تقدم ذكره.

2/ والضرب الثاني أن يكون الشاعر آخذا في معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن ان ردا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدّمه فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه ومثاله قول المعطل الهذلي:

تبين صلاة الحرب منّا ومنهم ... إذا ما لتقينا والمسالم بادن

فقوله (والمسالم بادن) رجوع من المعنى الذي قدمه حتى بيم أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم بادن والمحارب ضامر.

[1] شوقي ضيف – البلاغة تاريخ وتطور –ص 30-31

[2] عثمان بن جني – الخصائص –تح : عبد الحميد هنداوي –دط دار الكتب العلمية –بيروت –دت – ط3-م2-ص 170-172

واستشهد لقول ابن ميادة :

فلا ضرمة يبدو وفي اليأس راحة ... ولاوده يصفو لنا فنكارمه [1]

والمتتبع للفصل الموالي الاعتراض يجد تداخل بينه وبين الالتفات حيث نجد أنّ أبا بكر الباقلاني يصرح أنّ معنى الالتفات هو الاعتراض ففي هذا يقول: "ومعنى الالتفات أنّه اعتراضٌ في الكلام وذلك في قوله:"سقيت الغيث" ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا وكان منتظما واستشهد في ذلك شواهد شعرية كقول أبي تمام :

وأنجدتم من بعد اتهام داركم ... فما دمع انجدني على ساكني نجدي

وكقول النّابغة :

ألا زعمت بنو سعد بأنّي ...- ألا كذبوا —كبر ألسن فإنّي

كما استشهد بآيات قرآنية منها قوله تعالى :﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ

[1] أبو هلال العسكري – الصناعتين – تح : محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم –دط –دار الفكر العربي –دت –ط2–ص 407-409.

فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَّشَآءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ وَ الذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَ لِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلاَّ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾- العنكبوت 23/16، وقوله عزّ وجل:﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾-المائدة 38 [1].

ومن بداية القرن السادس صار الاهتمام بالضمائر وهذا ما نجده عند الزمخشري في تفسير سورة الفاتحة عند قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾- الفاتحة 05 ، حيث يسأل فإذا قلت لما عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التّكلم كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ -يونس الآية 22 وقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ ٱلذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ - فاطر الآية 09، وهذه الآيات تميل لصور الالتفات عن ضمير إلى ضمير آخر كما ذكرنا سالفا ثم يشير الزمخشري الى التفات امرؤ القيس في قوله

تطاول ليلك بالأثمد... ونام الخلي ولم ترقد

[1] أبو بكر الباقلاني –إعجاز القرآن –إعداد ممدوح حسن محمد –تح – طه عبد الرؤوف سعد –دط –دار الأمين – القاهرة – دت – ط1 –ص 108-109.

وبات وباتت له ليلة...كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبإ جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود

الملاحظ من الزمخشري أنه ركز على التفات الضمائر إلا انه يبرز القيمة الفنية للالتفات حيث يقول " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من اجرائه على أسلوب واحد وقد تختصّ مواقعه بفوائده[1].

إن المتتبع للآراء القدامى يجد أنّ جلّهم تحدثوا عن أسلوب الالتفات وقسموا أقسامه وفق انتقال الأزمنة غير أنّ الزمخشري قد أضاف إلى ما ذهب إليه الأقدمون التفات الضمائر وأولى له اهتمامه وهذا ما ذكره في تفسيره الكشاف مبينا أسباب ذلك .

أما ابن قتيبة فقد أشار إلى هذا الغرض البلاغي في كتابه تأويل شكل القرآن في باب مخالفة اللفظ معناه قائلا " ومنه أن يخاطب الشاهد بشيء يجعله الخطاب له على لفظ الغائب كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾- يونس 22، وقوله :﴿ وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ -الرّوم 39 ،وقوله عزّ وجلّ :﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾-الحجرات 07، ثم قال:﴿اولئك هم الراشدون ﴾- الحجرات 07... ومنه يخاطب الرجل بشيء قم يجعل الخطاب لغيره كقوله تعالى: ﴿ فإنّ لم يستجيبوا لكم ﴾هود 14

[1] جار الزمخشري – تح – خليل مأمون شيخنا – دط –دار المعرفة – بيروت –2009م- ط3 – ط1 – ص 28.

:" الخطاب للنبي عليه السلام ثم الكفار وذلك في قوله تعالى: ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لاإله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾- هود14[1].

ومن الذين تحدّثوا عن أسلوب الالتفات من القدامى نجد ابن الأثير يذكر ذلك في كتابه "المثل السائر" حيث يعرف ذلك الأسلوب قائلا :"وحقيقته مأخودة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك هو النّوع من الكلام خاصة أنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة أخرى كالانتقال من حاضر إلى غائب [2].

وكخلاصة عامة فإنّ المتتبع للآراء القدامى من خلال ما أورده في كتبهم حول إشارات لأسلوب الالتفات يدرك أن القدامى قد تحدثوا عن هذا الأسلوب لكن ليس بنفس الشكل والأسلوب إذ أنّنا نجد أنّ كلا منهم أدرجه تحت باب من أبواب البلاغة فمنهم من أدرجه تحت باب البيان ومنهم من أدرجه تحت باب المعاني كالزمخشري ، بالإضافة إلا أنهم اختلفوا في تسميته وتقسيماته ومن هؤلاء القدامى نذكر إشارة أبي عبيدة إلى هذا الأسلوب في كتابه" مجاز القرآن" قائلا :" ومن مجاز ما جاءت مخاطبته " فمن هنا يظهر أنّه قد أدرجه تحت باب المجاز أما ابن المعز فنجده هو الآخر تناول هذا الأسلوب في كتابه البديع تحت ما أسماه "محاسن الكلام" وكذلك الأمر بالنّسبة لابن جني فنجده هو الآخر قد تحدث عنه في كتابه الخصائص في باب أطلق عليه باب شجاعة العربية حيث خصص له فصلا أسماه " في الجمل على المعاني " تناول فيه الالتفات مستشهدا على ذلك بآيات قرآنية وأشعار

[1] ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن –نقلا عن البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية – حسين أبوموسى – ص 131.

[2] ابن الأثير– المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر – تح : أحمد الحوفي وبدوي طبانة – دط – مطبعة الرّافعي – الرياض -1983م –ط2-ج2- ص 181.

عربية وابن رشيق هو الآخر تحدث عن أسلوب الالتفات إلا أنّه جمع فيه بين الالتفات والاستدراك والاعتراض، ومن الذين تناولوا أسلوب الالتفات باسم آخر هو الاعتراض نذكر الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن" وغير هؤلاء كثر ممن تناولوا هذا الأسلوب وخلاصة هذا القول أنّ القدامى قد تحدثوا عنه ولو بإشارة إليه بأساليب وأشكال وأسماء متعددة فتارة نجده تحت باب المجاز وتارة أخرى نجده تحت باب ما أسموه محاسن الكلام وفي أخرى نجده تحت فصل العمل على المعنى ورغم هذا الاختلاف الطفيف بين آراء القدامى إلا أننا نجد أنهم تحدثوا بصيغ متعددة .

2-2/ المحدثون :

يرى المحدثون وعلى رأسهم رجاء عيد أن الالتفات نسق أدائي خاص في بناء الجملة كما أشار إلى تضارب أقوال البلاغين حول قيمته الفنية وعاب على الزمخشري حين ذهب بأنه ايقاظ المسامع ومما ذهب اليه ابن الأثير من ابراز لقيمته الفنية وقد عد رجاء عيد الالتفات ضمن باب علم المعاني [1].

ويعرفه السيد محمد شيخون بقوله: " هو فن من البلاغة ملاكه الذوق السليم والوجدان الصادق وبقلب الشجاعة .....وهو من قبيل خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهو عند جمهور البلاغيين: التعبير عن معنى بطرق من الطرق الثلاثة : التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنها بطريق آخر منها [2].

ان المتتبع لكلام رجاء عيد يدرك أن التعريف الذي ذهب اليه هذا الاخير من خلال ما ذكر بأنه نسق ادائي خاص في بناء الجملة قاصر، فهو يعطي المعنى العام لهذا الأسلوب من غير تفصيل ثم يظهر تأثره بابن الأثير في ابراز القيمة الفنية من خلال هذا يتبين ان رجاء عيد يميل الى التفصيل الذي ذهب إليه بن الأثير في كتابه: " المثل السائر للأسلوب الالتفات" على عكس ما ذهب إليه السيد محمد شيخون فإنه يلم بمفهوم شامل يوضح أقسام الالتفات وبأنه فن من فنون البلاغة غير أننا لا نعلم من خلال التعريفين السابقين في أي باب من أبواب البلاغة قد أدرج كل من رجاء عيد والسيد محمد شيخون أسلوب الالتفات.

[1] مني رابحي – مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان – أسلوب الالتفات بمقامات الضمائر سورة يونس أنموذجا- جامعة بسكرة – ص 15.
[2] محمد سيد شيخون – البلاغة الوافية – نقلا عن مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان بلاغة أسلوب الالتفات وأسراره – ص :15.

أما الدكتور عبد الجليل مرتاض فيشير هو الآخر إلى اسلوب الالتفات فيذكر بأنّه الانتقال من خطاب إلى غائب أو العكس أو الانطلاق من الغائب مرورا بضمير المتكلم وهذا ليس بالأمر الهين في أي خطاب أدبي ويمثل لذلك ببيت جرير :

أتنسى إذا تواعدنا سليمي ... لعود شبأمة سقي البشام

طرب الحمام بذي الأراك ... لازالت في غلل وايك ناظر [1]

ويضيف قائلا بأنّه تراكيب عتيقة وأصيلة وأنّه تركيب يدخل في صميم الخطابات الابداعية لما فيه من تنويع بطرق تقنية عالية وسر ذلك أنّ الانتقال بصورة مفاجئة من خطاب إلى غائب أو العكس أو الانطلاق من الغائب مرورا بضمير المتكلم ليس بالأمر الهين في أي خطاب أدبي [2].

ومن المحدثين الذين تحدثوا عن الالتفات نجد الشيخ الطاهر بن عاشور قد تحدث في كتابه " التحرير والتنوير " قائلا فيه بأنّه من أفانين الكلام وهو نقل الكلام من أحد عن طريق التّكلم أو الغيبة إلى طريق آخر منها وهو مجرده ممدود من الفصاحة ويضيف قائلا: " وسماه بن جني شجاعة العربية لأنّ ذلك التعبير يجدد نشاط السامع فإذا انضم لطيف يناسب الانتقال الى ما انتقل اليه صار من افانين البلاغة "[3] .

والملاحظ من خلال مما ذهب إليه كلٌ من عبد الجليل مرتاض والطاهر عاشور في كتبهما إلى أسلوب الالتفات بأنّه انتقال من زمن الى زمن كانتقال من خطاب الى غيبة أومن غائب إلى متكلم وهو من

[1] عبد الجليل مرتاض – العربية بين الطبع والتطبيع – ديوان المطبوعات الجامعية – 1993م- ص 108-109.
[2] نفس المرجع السابق –مني رابحي – مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر-ص 15-19.
[3] الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – مط – الدّار التونسية –تونس – 1984 –ص 109.

أفانين الكلام المعدودة من الفصاحة التي ليست بالأمر الهين في الخطاب الأدبي لأنّه تستعمل فيه خطابات ابداعية متصلة بتراكيب أصلية والتي تحدد نشاط السّامع وتجذب انتباهه.

ومن المحدثين الذين أشاروا إلى أسلوب الالتفات نجد محمد حسين أبو موسى قد أشار ألى ذلك في كتابه " البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري" من خلال عرضه لآراء سابقية في هذا الأسلوب ثم ذهب قائلا: " ما يعزي إليه الأصمعي حول التفاتات جرير وما قيس عليه كبيت النّابغة الجعدي حين قال :

ألا زعمت بنو سعد بأني ... ألا كذبوا كبير السن فإني

وكبيت كثير حين قال:

لو أنت الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلموا منا المطالا

وكبيت حسان حين قال :

إن التي ناولتني فرددتها... قبلت قبلت فياليتها لم تقبل

فكلُ ذلك مما ذكر من الاعتراض وليس الالتفات [1]

[1] محمد حسين أبو موسى البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري –ص 129-130.

ومن المحدثين الذين أشاروا إلى ذلك نذكر محمد أبو علي حين ذكر " أنّ الإلتفات قد نيط بالمنوبات العليا لأساليب البلاغة وفنونها ومن هنا اعتبر الالتفات بكثرته سمة العبقرية العربية ومقدرتها الفنية "[1].

الملاحظ من خلال ما ذهب إليه محمد حسن أبو موسى أنّ هناك تعارضا واضحا في كلامه فقد ذكر في بداية الأمر أن مصطلح الالتفات جاء به الأصمعي وهذا الذي ذهبت اليه جل كتب البلاغة لكنّه في الوقت ذاته حين يذكر التفاتات جرير التي اعتمد عليها الأصمعي في اطلاق المصطلح يذكر ان هذا اعتراض والمتتبع لكلامه يرى بأن أبا موسى يشير الى الالتفات من مسمى آخر وهو الاعتراض وقد سبقه في ذلك ابن رشق والباقلاني في كتبهما أما ما ذهب اليه محمد أبو علي في اشارته لهذا الأسلوب فإنه يتبين أن أبا علي يظهر القيمة الفنية لهذا الأسلوب .

إنّه ومن خلال سرد آراء المحدثين حول أسلوب الالتفات تبين لي أنّ المحدثين لم يأتوا بجديد يذكر وإنّما قد وافقوا ما ذهب اليه أسلافهم ومن أمثلة ذلك أذكر تأثر رجاء عيد بابن الأثير في إبراز قيمة الالتفات الفنية .

[1] مريم هبال – مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر بجامعة بسكرة- بعنوان بلاغة أسلوب الالتفات في القرآن وأسراره-ص16.

3-أقسام الالتفات وأهدافة :

أولا / أقسام الالتفات :

3-1 : الالتفات بالضمائر:

3-1-1/ الانتقال من التّكلم إلى الخطاب : ومن أمثلة ذلك قوله عزّ وجلّ:﴿ وَمَالِيَ لآَ أَعْبُدُ ٱلذِے فَطَرَنِے وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾- يس 22، ففي هذه الآية التفات من ضمير المتكلم في قوله «ومالي لا أعبد الذي فطرني» إلى ضمير الخطاب في قوله عزّ وجلّ: « وإليه ترجعون » وكذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱلله﴾ -الفتح 01، فانتقل من ضمير التكلّم في قوله «فتحنا »إلى ضمير الخطاب في قوله «ليغفر لك».

3-1-2/ الانتقال من التّكلم إلى الغيبة : ومن أمثلة ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ﴾ - الكوثر 1-2، ففي هذه الآية جاء الكلام أولا على طريقة التكلم في قوله « إنّا أعطيناك الكوثر " ثم انتقل إلى أسلوب الغائب في قوله « فصلّ لربّك وانحر»[1].

3-1-3/الانتقال من الخطاب إلى التكلم ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾-يونس 21، وفي هذا الشأن يذكر صاحب كتاب فن البلاغة عبد القدر حسين بأنه سبحانه وتعالى نزّل نفسه منزلة المخاطب ، فالضمير قل للمخاطب وفي رسلنا

[1] الخطيب القزويني – الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع- تر: إبراهيم شمس الدين –منشورات علي بيضون –دط – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – دت- ص 68

للمتكلم [1]، غير أن هناك من البلاغين من لم يعثر على هذا النوع من الالتفات واستشهد بأبيات شعرية .

3-1-4/الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ومن أمثلة ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلذِے يُسَيِّرُكُمْ فِے ٱلْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِے ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ - يونس 22، ففي قوله عزّ وجل: «هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك» الكلام جار على أسلوب الخطاب ثم انتقل إلى أسلوب الغائب في قوله تعالى: « وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ».

3-1-5/الانتقال من الغيبة إلى التكلم ومن أمثلة ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَاللَّهُ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾- فاطر 09.وموضع الالتفات في هذه الآية يظهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله : « أرسل» إلى ضمير التكلّم في قوله « فَسُقْنَٰه » ، «فَأَحْيَيْنَا»

3-1-6/ الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن أمثلة ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ

[1] حسين عبد القادر- فن البلاغة –دط –عالم الكتب ص281

ٱلرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ -الفاتحة 05/01، في الآية الأسلوب جار وفق أسلوب الغائب في قوله تعالى: « الحمد لله رب العالمين» ،ثم انتقل إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى : «إياك نعبد وإياك نستعين»[1].

هناك من البلاغين من جرى على هذا التقسيم ، أي تضيق دائرة الالتفات وحصرها على قسم واحد من الأقسام الظاهرة بين الضمائر ومن هؤلاء نجد : الزمخشري ، السكاكي ، الخطيب القزويني ومنهم من وسّع دائرة الالتفات حتى شملت أقساما أخرى إلى جانب الضمائر ومن هؤلاء نذكر ضياء الدين ابن الأثير، وبدر الدين الزركشي[2] .

2-3 الالتفات العددي :

ومن هذه الأقسام ما ذكره الزّركشي في قوله: " .. ما يقرب من الالتفات الانتقال من الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب الآخر وهو ستة أقسام " كما ذكر ذلك الزركشي وهي :

3-2-1/ الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين ومن ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُومِنِينَ﴾- يونس 78.

[1] عبد الرحمن حسن حنبكة – البلاغة العربية أسسا وعلومها وفنونها- ج1-ص 488-493.

[2] ينظر – حسن طبل – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية –مط- دار الفكر العربي – القاهرة -1998م-ص 22-23.

فالالتفات ظاهر في قوله تعالى : « أجئتنا لتلفتنا حيث انتقل من الضمير المفرد أنت في قوله « أجئتنا» إلى الضمير أنتما في قوله تعالى «تكون لكما »، « ومانحن لكما بمومنين ».

3-2-2/ من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع : ومن ذلك قوله تعالى :﴿يأيها يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾- الطّلاق 01، فالخطاب في البداية ورد بصيغة المفرد في قوله تعالى « يأيها النّبيء »، ثم انتقل إلى صيغة الجمع في قوله تعالى « طلقتم »[1].

3-2-3/من الاثنين إلى الواحد : ومن ذلك قوله عزّ وجلّ:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾- طه 49 ، ففي قوله تعالى « فمن ربكما ياموسى " الخطاب ورد بصيغة الاثنين ثم انتقل إلى صيغة المفرد في قوله تعالى «ياموسى» وكذلك الأمر بالنسبة لقوله عزوجل« فلا يخرجنكما » الحديث جار بصيغة الاثنين قم انتقل إلى صيغة المفرد في قوله « فتشقى» .

3-2-4/ من الاثنين إلى الجمع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ ﴾ - يونس 87، الخطاب ورد بصيغة الاثنين في قوله: « وأوحينا إلى موسى وأخيه » قم انتقل الى صيغة الجمع في قوله « واجعلوا بيوتكم»

[1] عبد الله الزركشي – البرهان في علوم القرآن-مط- دار الثرات- القاهرة –تح : محمد أبو الفضل إبراهيم-دت –ج3-ص334.

3-2-5/ الانتقال من الجمع الى المفرد ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَفِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُومِنِينَ ﴾ -يونس 87، ففي هذه الآية الخطاب جار بصيغة المفرد بعد أن خاطب الجميع في قوله « واجعلوا بيوتكم».

3-2-6/ الانتقال من الجمع إلى التثنية ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَالِانسِ إِنِ إِسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنَ اَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالاَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَـٰنٍ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾- الرّحمن 33[1].

كما أنّ الالتفات يتضمن أيضا لونا آخر من العدول لم يدرجوه ضمن الأقسام وهو الالتفات المعجمي وهو الذي يتمثل بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة قدر مشترك من المعنى لم يتفرد كل منهما ببعض خصوصياته التعبيرية أو الإيحائية[2].

تعددت أقسام الالتفات عند البلاغيين وتنوعت من انتقال من التكلم إلى الخطاب ومن انتقال من التكلم الى الغيبة ومن انتقال من الخطاب الى المتكلم وغيرها من الأقسام الستة فهناك من البلاغيين من انتهج نهجا آخر في التقسيم كابن الأثير حيث قسم أقسام الالتفات إلى ثلاثة اقسام : قسم أول يكون في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة وقسم ثان يكون في الرجوع من الفعل

[1] عبد الله الزركشي –البرهان في علوم القرآن –ص 335.

[2] حسن طبل – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص 159.

المستقبل الى فعل الأمر ومن الفعل الماضي الى فعل الأمر وقسم ثالث يكون في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل ومن المستقبل بالماضي واستشهد كل قسم بآيات قرآنية وشواهد شعرية تدعم وتشرح أقواله وهذا ما سيأتي تفصيله لاحقا

غير ان من البلاغيين من اكتفى بهذا التقسيم كالزمخشري والسكاكي ومنهم من وسع دائرة الالتفات فشملت خطاب الواحد لخطاب الاثنين ومن الاثنين إلى الواحد ومن الجمع إلى المفرد وإلى أقسام أخرى ومن هؤلاء الذين وسّعوا دائرة الالتفات نذكر الزركشي الذي أضاف ستة أقسام أخرى .

وهناك من البلاغيين من قسّمه إلى ثلاثة أقسام نذكر منهم ابن الأثير في كتابه المثل السائر :

القسم الأول : ويكون في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة وأضاف قائلا اعلم أن عامة المنتمين إلى هذا الفن إذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت العرب في أساليب كلاهما وضرب أمثلة عن كل نوع نذكر منها ما أورده في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب حين ذكر قوله عزّ وجلّ: وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾-مريم 89/88، ففي هذا الوضع كأنه يخاطب قوما حاضرين يوبخهم .

القسم الثاني : أسماء في الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الأمر ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ

ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾-هود 54/53، فإنّه إنّما قال: « أُشهد الله واشهدوا » ولم يقل – وأشهدكم –ليكون موازنا له لذلك عدل به عن لفظ الأول وجاء به على لفظ الأمر ومن أمثلة الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾-الأعراف28، وتقدير الكلام هنا أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم .

القسم الثالث : في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي ومن أمثلة الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾- النّمل87 ، فهنا قال عزّ وجلّ « ففزع » بلفظ الماضي بعد ما قال ينفخ وهو مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع [1] وأما النّوع الثاني الذي هو أخبار عن المستقبل بالماضي فلم أجد له مثالا .

الملاحظ من خلال تقسيم ابن الأثير أنّه قد نهج تقسيما خالف به من سبقه خاصة في القسم الثاني والثالث فإن ابن الأثير لم يذكر أقسام مثل الانتقال من الواحد إلى الجماعة والعكس وغيرها بل اهتم بالأزمنة كالماضي والمستقبل والأمر ووافق من سبقه في القسم الأول .

[1] ابن الاثير ضياء الدين- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر –ص 4-14 – بتصرف.

ثانياً/ أهداف الالتفات :

للالتفات فوائد عامة وخاصة فمن العامة التفنن والانتقال من اسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط للسامع واستجلاب بصفائه واتساع مجاري الكلام ولفت انتباهه [1].

وفي هذا يقول الزمخشري " إنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من اجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد " [2].

كما أنّ للالتفات فوائد خاصة نذكر منها :

1/ تعظيم شأن المخاطب كما جاء في قوله تعالى :﴿ الحمد لله ربّ العالمين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ -الفاتحة 01، فإنّ العبد اذا افتتح حمد مولاه بقوله « الحمد لله » وإذا انتقل إلى قوله«رب العالمين » الدال على ربوبيته ، فإذا قال « الرحمان الرحيم » الدال على أنه منعم بأنواع النعم جليلها وحقيرها وإذا وصل إلى « ملك يوم الدين إياك نعبد » وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر.

2/ التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه كقوله تعالى ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴾ -يس 22، أما أصل الكلام « ومالكم لاتعبدون الذي فطركم » ولكنه أبرز الكلام لأجل النصح ثم قال « وإليه ترجعون» للدلالة على ما كان من أصل الكلام.

[1] عبد الله الزركشي – البرهان في علوم القرآن –ج3ص -325- 326.

[2] جار الله الزمخشري – الكشّاف –تح : خليل مأمون شيحا –دط- دار المعرفة بيروت -1430هج-2009-ط 2- ص 29.

3/ أن يكون الغرض به التتميم به لمعنى مقصود للمتكلم كقوله تعالى: « أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم »-الدخان 6/5.

4/ قصد المبالغة كقوله تعالى ﴿ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾-يونس 22، كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منا ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح فائدته المبالغة.

5/ قصد الدلالة على الإختصاص كقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ ٱلذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾-فاطر 09، فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت و أحياء الأرض بعد موتها دالا على القدرة الباهرة وقوله « سقنا » و «أحييينا» دلالة على الاختصاص.

6/ قصد الإهتمام كقوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلاَرْضِ ٱيتِيَا طَوْعاً اَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ فَقَضِيٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظاًۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ - فصلت11-12، الالتفات هنا جاء للدلالة على الاهتمام بالأخبار عن نفسه فإنه سبحانه وتعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ.

7/ قصد التوبيخ : كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ – مريم 88-89، الالتفات هنا جاء للدلالة على أنّ القائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا ومنكرا عليهم فهدفه إذن توبيخ المفترين على الله لهذا قال « لقد جئتم شيئا إدا » [1].

والملاحظ من خلال ما سلف أنه للالتفات أهداف كثيرة ذكر منها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ونلخصها في الآتي :

- تعظيم شأن المخاطب.
- التنبيه على حق الكلام.
- التتميم لمعنى مقصود.
- المبالغة.
- دلالة الاختصاص.
- الاهتمام والتوبيخ.

[1] عبد الله الزركشي – البرهان في علوم القرآن –ج3ص-228-230.

الفصل الثّاني :مظاهر الالتفات في سورة النّحل

1-التّعريف بالسّورة

2-موضوعات السّورة

3-صور الالتفات في السّورة

1- التعريف بالسورة :

تعرف هذه السورة عند السلف بسورة النّحل وهو الاسم المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنّة ووجه تسميتها بذلك أن لفظ النّحل لم يذكر في سورة أخرى وعن قتادة أنها تسمى سورة النّعم – أي بكسر النون وفتح العين – قال ابن عطية : لما عدد الله فيها النعم على عباده ، وهي مكية في قول الجمهور ، وهو عن ابن عبّاس وابن الزبير ، وقيل إلاّ ثلاث آيات نزلت يالمدينة [1].

وجاء تعريفها عند الطنطاوي في تفسيره الوسيط بأن سورة النّحل هي السورة السادسة عشر في ترتيب المصحف ، فقد سبقتها سورة : الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، الأنفال ، التوبة ، يونس ، هود ، يوسف ، الرّعد ، إبراهيم ، الحجر ، أما في ترتيب النزول فكان ترتيبها التّاسعة والستين ، وكان نزولها بعد سورة الكهف ، وعدد آياتها ثمان وعشرين ومائة آية، وسميت بالنّحل لقوله تعالى: « وأوحى ربّك إلى النّحل أن ..... »كما سمّيت كذلك بسورة النّعم ، لأن الله تعالى عدّد فيها أنواعا من النعم التي أنعم الله على عباده، وسورة النّحل من السور المكية ، أي التي كان نزولها قبل الهجرة النبوية الشريفة، وفي ذلك قال القرطبي : وهي مكيّة كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقيل هي مكيّية إلا قوله عزّ وجلّ: « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ، نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد ، وقال الألوسي : وأطلق جمع القول بأنّها مكّية ، وأخرج ذلك ابن مردويه عن ابن عبّاس وابن الزّبير رضي الله عنهما، وأخرجه النحّاس عن

[1] الطّاهر بن عاشور – التحرير والتّنوير –ج14–ص 493.

طريق مجاهد عن الحبر أنها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فإنّهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد[1].

2-موضوعات سورة النّحل:

تعالج سورة النّحل كسائر السور المكية موضوعات أهمها : موضوعات العقيدة الكبرى – الألوهية، الوحي، البعث، إضافة إلى ذلك فهي تلم بموضوعات جانبية ، تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية، إذ تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم ودين محمد عليهما الصلاة والسّلام، كما تلم بحقيقة الإرادة الالهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال ، وتلم بوظيفة الرسل وسنّة الله في المكذبين له، وتلم بموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع، كما تلم بالهجرة في سبيل الله ، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء ذلك عند الله، بالإضافة إلى مواضيع العقيدة تضيف السورة موضوعات المعاملة – العدل والإحسان، الإنفاق، الوفاء بالعهد وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة، وأما الإطار الذي تعرض فيه هذه الموضوعات ومجال الأحداث فهو فسيح شامل ... هو السّماوات والأرض ، والماء الهاطل، والشجر النّامي، والليل والنهار والشمس والقمر والنّجوم والجبال والمعالم والسّبل والأنهار، هو الدّنيا بأحداثها ومصائبها، وهو الآخرة بأقدارها ومشاهدها ، وهو الغيب بألوانه وأعماقه في الأنفس والأعناق[2].

بالإضافة إلى هذه الموضوعات هناك مشتملات ارتكزت عليها السّورة أهمها:

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – دط – مطبعة السعادة -1984-ج14-ص5-6.
[2] سيد قطب – في ضلال القرآن –دط- دار الشروق – ط10-1982-مج 4-ص 2158.

أ-نراها في مطلعها تؤكد أنّ يوم القيامة حقّ، وأنه آت لا ريب فيه، وأنّ المستحق للعبادة والطاعة إنّما هو الله الخالق لكل شيء.

ب-ثم تسوق ألوانا من الأدلة على وحدانية الله وقدرته، عن طريق خلق السموات والأرض وخلق الإنسان والحيوان، وعن طريق إنزال الماء من السماء، وتسخير الليل والنهار، والشمس والقمر والنّجوم.. وغير ذلك من النعم التي لا تحصى...

ج- وبعد أن توبخ السورة المشركين لتسويتهم بين من يخلق ومن لا يخلق تحكى جانبا من أقاويلهم الباطلة التي وصفوا بها القرآن الكريم، وتصور استسلامهم لقضاء الله العادل فيهم يوم الحساب.

د- وكعادة القرآن الكريم في قرنه الترهيب بالترغيب، وفي عقده المقارنات بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين، جاءت الآيات بعد ذلك لتبشر المتقين بحسن العاقبة.

هـ-ثم تعود السورة الكريمة مرة أخرى إلى حكاية أقوال المشركين حول مسألتين من أخطر المسائل، وهما مسألة الهداية والإضلال ومسألة البعث بعد الموت بعد أن حكت ما قالوه في شأن القرآن الكريم.

و-ثم تهدد السورة الكريمة أولئك الجاحدين لنعم الله، الماكرين للسيئات، بأسلوب يستثير النفوس ويبعث الرعب في القلوب، وتدعوهم إلى التأمل والتفكر في ملكوت السموات والأرض، لعل هذا التفكر يكون سببا في هدايتهم، وتخبرهم بأنّ الله- تعالى- هو الذي نهاهم عن الشّرك، وهو الذي أمرهم بإخلاص العبادة له

ز- ثم انتقلت السورة إلى سرد أنواع من جهالات المشركين، ومن سوء تفكيرهم، حتى يزداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، ويشكروا الله- تعالى- على توفيقه إياهم إلى الدخول في الإسلام.

ح-هكذا تصور سورة النّحل ما كان عليه المشركون من غباء وغفلة وسوء تفكير، ثم تعود- سورة النعم- مرة أخرى إلى الحديث عن نعم الله- تعالى- على عباده، فتتحدث عن نعمة الكتاب، وعن نعمة الماء، وعن نعمة الأنعام، وعن نعمة الثمار والفواكه، وعن نعمة العسل المتخذ من بطون النحل وعن نعمة التفاضل في الأرزاق، وعن نعمة الأزواج والبنين والحفدة.

ط-ثم تسوق السورة الكريمة مثلين مشتملين على الفرق الشاسع، بين المؤمن والكافر، وبين الإله الحق والآلهة الباطلة.

ي-وبعد إيراد هذين المثلين البليغين، تعود سورة النّعم إلى الحديث عن أنواع أخرى من نعم الله على خلقه، لكي يشكروه عليها، ويستعملوها فيما خلقت له فتتحدث عن نعمة إخراج الإنسان من بطن أمه، وعن نعمة البيوت التي هي محل سكن الإنسان، وعن نعمة الظلال، وعن نعمة الجبال، وعن نعمة الثياب.

ك-ثم بعد أن تصور السورة الكريمة أحوال المشركين يوم القيامة عند ما يرون العذاب، وتحكى ما يقولون عند ما يرون شركاءهم، وتقرر أنّ الله يبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وأنّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- سيكون شهيدا على من بعث إليهم.

ل- وبعد هذه التوجيهات السامية المشتملة على الترغيب والترهيب، وعلى الأوامر والنواهي. تتحدث آيات السورة عن آداب تلاوة القرآن وعن الشبهات التي أثارها المشركون حوله مع الرد عليها بما يدحضها، وعن حكم من تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان.

م- ثم تعود السورة الكريمة لضرب الأمثال، فتسوق مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم بالنعم فلم يقابلوها بالشكر، فانتقم الله- تعالى- منهم. كما تسوق جانبا من حياة سيدنا إبراهيم كمثال للشاكرين الذين استعملوا نعم الله فيما خلقت له.

ن- وأخيرا تختتم السورة الكريمة بتلك الآيات الجامعة لأحكم الأساليب وأكملها وأجملها وأ نجعها في الدعوة إلى الله- تعالى- وفي معاملة الناس فتقول: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ –النّحل 128/125[1].

[1] محمد سيد طنطاوي-التفسير الوسيط-مط دارنهضة مصر-القاهرة-1998-ط1-ج8-ص89.

مواضع الالتفات في السّورة :

أولاً/ الالتفات بالضمائر :

1- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

يذكر ابن الأثير في كتابه المثل السائر سبب اعتماد العرب على هذا النّوع فيذكر قائلاً : اعلم أنّ عامّة المنتمين الى هذا الفنّ إذا سألوا عن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وعن الخطاب إلى الغيبة قالوا : كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها[1] .

ومواضع الالتفات في السّورة لهذا النّوع هي :

1/1- قوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلذِينَ تَتَوَفّيهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءِۭ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ -النّحل:28- جاء في تفسيرها في التّفسير الوسيط على النّحو التّالي : تسوق هذه الآية مشهدا من مشاهد النهاية لحياة الظالمين المصرين على الكفر وهو أنّ ملائكة العذاب حين تقبض أرواحهم وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر والعصيان يستسلمون زاعمين أنّهم لم يرتكبوا إثما في حياتهم ، وأنّهم ما كانوا يعملون السّوء فترد عليهم الملائكة قائلة: «بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »[2] .

[1] ضياء الدّين ابن الأثير – المثل السائر –ج2-ص 168.

[2] ينظر-محمد سيد طنطاوي-التفسير الوسيط-مط دارنهضة مصر-القاهرة-1998-ط1-ج8-ص137.

وموضع الالتفات في هذه الآية يظهر في الانتقال من ضمير الغيبة في قوله «تَتَوَفّيهُم» إلى ضمير المخاطبة في قوله «كُنتُم».

2/1 – قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَوْ يَاخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيم﴾-النّحل:47.

يذكر أبو السعود في تفسير هذه الآية –«أو ياخذهم على تخوف» – أي مخافة وحذراً من الهلاك والعذاب، بأن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيهلكهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبّر عن إصابة العذاب فيها بالأخذ وعن إصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالإتيان ، وقيل التّخوف ، التنقيض « فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » حيث لا يعالجكم بالعقوبة ، ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها[1] .

وموضع الالتفات في هذه الآية يظهر في الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « أو ياخذهم « إلى ضمير الخطاب في قوله « فإن ربّكم » .

3/1 قوله عزّ وجلّ: ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾- النّحل 55.

ذكر أسعد محمود تفسير هذه الآية قائلا : قد فعلوا ذلك لتكون عاقبة أمرهم الكفر والجحود بأنعم الله عليهم ، مع أنّه عزّ وجلّ هو المتفضّل عليهم بالنّعم وبكشف البلاء والجحود والعصيان ، ثم يتوعّدهم تعالى ويقول لهم : اعملوا ما شئتم وتمتّعوا بما أنتم فيه قليلا وسوف تعلمون عاقبة ذلك[2] .

[1] أبو السعود- تفسيرأبو السعود المسمى إرشاد العاقل إلى مزايا القرآن الكريم –دار المصحف –لبنان –دط-ج5-ص117.
[2] اسعد محمود حومد-أيسر التفاسير-تح -إبراهيم السلقيني-دمشق-2004-ط4-ج1-ص641.

وموضع الالتفات في هذه الآية يظهر في الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « ليكفروا بما آتيناهم » إلى ضمير الخطاب في قوله:« فتمتّعوا فسوف تعلمون » ، وعلّق الألوسي على هذه الآية قائلاً : أمر تهديد ،كما هو أحد معاني الأمر المجازية عند الجمهور ، والالتفات إلى الخطاب للإيذان بتناهي السخط[1] .

4/1 قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾-النّحل56.

جاء في تفسير السعدي تفسيرها على النحو التالي : إخبار الله تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافتراءهم على الله الكذب ، وأنهم جعلوا لأصنامهم التي لا تنفع ولا تضر نصيباً مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك وتقرّبوا به إلى أصنام منحوتة ، وبذلك سيعاقبهم الله على ذلك أشد العقوبة[2] .

وموضع الالتفات في هذه الاية يظهر في أن الكلام جار وفق أسلوب الغيبة في قوله « يجعلون » ثم انتقل الكلام من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب وذلك في قوله « لتسألنّ » .

قال الألوسي في هذا الشأن : وفي تصدير هذه الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدّة الوعيد مايخفى[3] .

[1] الألوسي –روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني–دار إحياء التراث العربي–بيروت لبنان–دت– ج14–ص166.
[2] عبد الرحمن السعدي–تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان–تح–حبد الرحمن اللويحق–دار الإمام مالك–الجزائر–2009–ط1–ص405.
[3] الألوسي –روح المعاني –ج14–ص 166.

2- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

وهو لون آخر من ألوان الالتفات بالضمائر ومن أمثلة ذلك في السورة :

1/2 قوله عزّوجل:﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾-النّحل 01.

قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : « أتى » بمعنى يأتي، فهو كقولك إن أكرمتني أكرمتك ، وقد تقدّم أن إخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء ، لأنّه آت لا محالة. « و أمر الله » : عقابه على من أقام الشّرك وكذّب رسله . « فلا تستعجلوه » تفسيرها متعلّق بما قبلها فإنّه عندما نزلت أتى أمر الله ... رسول الله –ص – والمسلمون خافوا فنزلت: «فلا تستعجلوه » فاطمأنّوا، ولكل ما تقدّم سبب نزول لا يسع المقام لذكرها ، وقوله تعالى: « سبحانه وتعالى عما يشركون »: أي تنزيها له عما يصفونه به من أنّه لا يقدر على قيام السّاعة ، وذلك أنّهم يقولون : لا يقدر على أحد على بعث الأموات فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به إلا المخلوق وذلك شرك [1].

ويظهر الالتفات في هذه الآية في الانتقال من ضمير الخطاب في قوله تعالى « فلا تستعجلوه » إلى ضمير الغيبة في قوله تعالى « عما يشركون » .

2/2 قوله عزّ وجل:﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ -النّحل 15.

[1] أبي عبد الله القرطبي –الجامع لأحكام القرآن-مج5-ص66.

فسّر الرّازي قوله تعالى: « أن تميد بكم » خطاب الحاضرين ، وقوله تعالى:«وبالنّجم هم يهتدون » خطاب للغائبين ، والسّبب أنّ قريشاً كانت تكثر أسفارها لطلب المال، ومن كثرت أسفارها كان عملها بالمنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم أكثر وأتم وذلك في قوله « وبالنجم هم يهتدون » إشارة إلى قريش، وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية الواردة سابقا فمنهم من قال أن تفسيرها مختص بالبحر، لأنّه تعالى لما ذكر صفة البحر وما فيه من المنافع بيّن أن من يسيرون فيه يهتدون بالنجم ، ومنهم من قال: بأنّه مطلق يدخل فيه السير في البرّ والبحر، ومن الفقهاء من يجعل ذلك دليلاً على المسافر للاستدلال بالنّجوم إن عميت عليه القبلة ، وذلك صحيح لأنه كما يمكن الاهتداء بهذه العلامات في معرفة الطريق والمسالك فذلك يمكن الاستدلال بها في معرفة القبلة[1] .

وموضع الالتفات في هذه الآية يظهر في الانتقال من أسلوب الخطاب في قوله « أن تميد بكم » إلى أسلوب الغيبة في قوله « هم يهتدون ».

3/2 قوله عزّ وجل:﴿ ثُم كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾- النّحل 69.

وجاء في تفسيرها – « ثم كلي من كل الثمرات » من كل ثمرة تشتهينها مرّها وحلوها «فاسلكي» ما أكلت « سبل ربك » في مسالكه التي يجعل فيها بقدرته النور المرّ عسلاً من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل ، أو «فاسلكي» راجعة إلى بيوتك «سبل ربّك » لاتتوعّر عليك

[1] فخر الدين الرازي-تفسير الفخر الرازي- دار الفكر-بيروت-1981م-ج20-ص11-11.

ولاتلتبس، «ذللاً» جمع ذلول وهي حال من السّبل ، أي مذللة ذلها الله تعالى . وسهلها لك، أو من الضّمير في « فاسلكي » أي وأنت ذلل منقادة لما أُمرت به « يخرج من بطونها » عدل به عن خطاب النّحل إلى خطاب النّاس لأنّه محلّ الإنعام عليهم [1].

وموضع الالتفات في هذه الآية يظهر في الانتقال من ضمير الخطاب في قوله « فاسلكي » إلى ضمير الغيبة في قوله « يخرج ».

4/2- قوله عزّ وجل ﴿وَالله جَعَلَ لَكُم مِّنَ اَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ اَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اِللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ -النّحل 72.

في هذه الآية يخبر تعالى على منّتِه العظيمة على عباده ، حيث جعل لهم أزواجا ليسكنوا إليها ، وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تقرّبهم آمانيهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من جميع المآكل والمشارب والنِعم الظاهرة التي لا يقدر العباد على حصرها . «أفبالباطل يومنون وبنعمت الله هم يكفرون » أي : يؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئاً مذكورا ، ثم أوجده الله من العدم ، فلا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئاً، وهذا عام لكل من عبد من دون الله، فإنّها باطلة، فكيف يتخذونها من دون الله ؟. «وبنعمت الله هم يكفرون »

[1] مصطفى القحوي الحنفي –حاشية محي الدين تبع زاده – تح – محمد عبد القادر شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت- 1999-ط1-ج5- ص 297

يجحدونها ، ويستعينون بها على معاصي الله والكفر به، هل هذا إلاّ من أظلم الظلم، وأفجر الفجور، وأسفه السّفه[1] .

وموضع الالتفات في هذه الآية ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الخطاب في قوله: « جعل لكم من أنفسكم»، «جعل لكم من أزواجكم »، « رزقكم » ثم انتقل إلى ضمير الغيبة في قوله « هم يكفرون ».

5/2 قوله عزّ وجلّ:﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ -النّحل 82/81.

يذكر البيضاوي في حاشيته تفسيرا لهذه الآيات بادئًا بقوله تعالى : « والله جعل لكم مما خلق من الشّجر والجبال والأبنية وغيرها « ضلالاً » تتفيئون به حرّ الشمس « وجعل لكم من الجبال أكناناً » مواضع تسكنون بها الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن «وجعل لكم سرابيل » ، ثنايا من الصّوف والقطن وغيرها « تقيكم الحرّ » خصّه بالذكر اكتفاءً بأحد الضدين أولاً وقاية الحر كانت أهم عندهم ، « وسرابيل تقيكم بأسكم » يعني الذروع والجواشن والسربال يعمُّ كل ما يلبس « كذلك» كإتمام هذه النّعم التي تقدّمت « يتم نعمته عليكم لعلّكم تسلمون » أي تنظرون في نعمه، فتؤمنون به أو تنقادون لحكمهِ ، وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو

[1] عبد الرحمن السعدي- تيسر الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنّان-ص 407

تنظرون فيها فتسلمون من الشّرك، وقيل تسلمون من الجراح بلبس الذّروع ، «فإن تولّوا» أعرضوا ولم يقبلوا منك « فإنّما عليك البلاغ المبين»، فلا يضرك فإنّما عليك البلاغ وقد بلّغت هذا من إقامة السّبب مقام السبب[1] .

وموضع الالتفات في هذا الآية ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الخطاب في قوله « لكم»، «تقيكم»، «عليكم» إلى ضمير الغيبة في قوله « فإن تولّوا».

3- من الغيبة إلى التّكلم :

ومن أمثلته مما ورد في السورة :

1/3 قوله عزّ وجلّ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ - النّحل 02.

ورد في تفسير التحرير والتنوير لمؤلفه الطاهر بن عاشور تفسير هذه الآية على النّحو الآتي :

استعجالهم بالعذاب استهزاءا بالرسول صلى الله عليه وسلّم وتكذيبه وكان ناشئاً من عقيدة الإشراك التي من أصولها، استحالة إرسال الرّسل من البشر ، وأتبع تحقيق مجيء العذاب بتنزيه الله عن الشريك، ففي ذلك تبرئة الرّسول – صلى الله عليه وسلّم – من الكذب فيما يبلغه عن ربّه ووصف لهم الإرسال وصفاً موجزاً وهو اعتراضٌ في أثناء الاستدلال عن التّوحيد ، والمراد بالملائكة الواحد منهم

[1] البيضاوي-حاشية شهاب الدّين المسماة –عناية القاضي وكفاية الرّاضي-دار صادر-دت-ج5-ص360

وهو جبريل – عليه السلام –. والرّوح : الوحي، أطبق عليه اسم الرّوح على وجه الاستعارة لأنّ: الوحي به هدي العقول إلى الحق ، وعنى «من أمره » الجنس ، أي من أموره ، وهي شؤونه ومقدراته التي استأثر بها ، وقوله تعالى: « على من يّشاء من عباده » رد على فنون من تكذيبهم ، وأن « أَنذروا » تفسيرٌ لفعل « ينزّل » لأنّه فيه تقدير ينزّل الملائكة بالوحي وقوله :« بالرّوح من أمره على من يّشاءُ من عباده » اعتراضٌ واستطرادٌ بين فعل « ينزّل » ومفسره « أنّه لا إله إلا أنا » متعلق بأنذروا على حذف حرف الجر حذفاً مطرداً مع أن ، والتّقديرُ أن أنذروا بأنّه لا إلا أنا . ولما كان هذا الخبر مسبوقاً للذين اتّخذوا مع الله آلهة أخرى وكان ذلك مثلا لا يستحقّون عليه العذاب جعل إخبارهم بضد اعتقادهم وتحذيرهم مما هم فيه إنذاراً. وفرع عليه « فاتّقون » وهو أمر بالتّقوى الشاملة لجميع الشريعة[1] .

والشاهد من هذه الاية أنّ موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله :« ينزّل»، «يشآء»، « من عباده » ، إلى ضمير التكلم في قوله « أنه لا إله إلا أنا فاتّقون ».

2/3 قوله عز وجل: ﴿ ٱلذِينَ تَتَوَفّيٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءِۭ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ -النّحل 28.

[1] الطّاهر بن عاشور-التحريروالتّنوير-ج14-ص98-100.

سبق تفسيرها وذلك في سياق الحديث عن موضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويظهر النوع الثاني من الالتفات في هذه الاية من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « الذين تتوفاهم » إلى ضمير التكلم في قوله « ما كنا نعمل من سوءٍ» .

3/3 قوله عزّ وجل: ﴿ و ٱلذِينهَاجَرُوا فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّيَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ - النحل 41.

ذكر الزجاج في تفسيره لهذه الآية قائلا : بأنه هؤلاء قوم كان المشركون يعذبونهم على اعتقادهم الإيمان ، منهم صهيب وبلال رضي الله عنهما ، وذلم أن صهيبا قال لأهل مكة : أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لن أضركم ، فحذوا مالي ودعوني ، فأعطاهم ماله وهاجر ألى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له أبو بكر ربح البيع ياصهيب ، وقال عمر : نعم الرّجل صهيب لو لم يخف لم يعصه ، تأويله لو أنه أمِن عذابه وعقابه لما ترك الطاعة ولجنح إلى المعصي لأمن العذاب ، وعنى « لنبؤأنهم في الدنيا حسنة » أي لأنهم صاروا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – ودخلوا في الإسلام سمعوا ثناء الله عليهم[1]

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله سبحانه:« هاجروا » ، إلى ضمير التكلم في قوله « لنبؤأنّهم ».

[1] الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن سري –معاني القرآن وإعرابه– تح–عبد الجليل عبده شلبي–عالم الكتب– بيروت–1988–ط1–ج3ص200.

3/4 قوله عزّ وجل :﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾

-سورة النّحل 51.

-جاء في تفسير الرازي تفسيرها على النحو التالي : « إنّما هو إله واحدٌ فإياي فارهبون » والمعنى أنّ لما دلت الدلائل السابقة على أنه لابد للعالم من الإله وثبت أن القول بوجود إلاهين محال ، ثبت أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الحق الصّمد، ثم قال بعده « فإيّاي فارهبون »وهذا رجوع من الغيبة إلى الحضور والتقدير أنه لما ثبت أن المتكلّم بهذا الكلام إله ، فحينئذٍ ثبت أن الإله واحد وثبت أن المتكلم إله ، فحينئذٍ أنه لا إله للعالم إلا المتكلّم بهذا الكلام [1].

ويذكر أبو السّعود بأن الالتفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرّهبة في القلوب [2].

وفي نفس السياق علّق الألوسي قائلا : ففيه التفات من الغيبة إلى التكلم على مذهب الجمهور أيضا[3] .

وللتوضيح أكثر فإن الشاهد و من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « إنما هو إله » ، إلى ضمير التكلم في قوله « فارهبون»

[1] فخر الدّين الرازي-تفسير الرّازي- دار الفكر-بيروت-ج20-ص50.
[2] أبو السعود-تفسير أبي السّعود-ج5-ص119.
[3] الألوسي-روح المعاني-ج13-14-ص163.

5/3 قولـــه عـــز وجـــل: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ النّحل-54-55.

فسر القرطبي رحمه الله تعالى هذه الآيات كالتالي :

قوله تعالى :« ثم إذا كشف الضرّ عنكم » أي البلاء والسقم ، «إذا فريق منكم بربهم يشركون » ، بعد إزالة العذاب وبعد الجؤار فمعنى الكلام التعجب من الإشراك بعد النجاة من الهلاك ، وقال الزجاج هذا خاص بمن كفر . « ليكفروا بما آتيناهم » أي ليجحدوا نعمة الله التي أنعم بها عليهم من كشف الضر ومن البلاء . «فتمتعوا» أمر تهديد «فسوف تعلمون» أي : عاقبة أمركم[1].

الشاهد و من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « بربّهم يشركون» ، إلى ضمير التكلم في قوله « آتيناهم »

6/3 قولـــه عـــز وجـــل﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ - النحل 63.

ذكر ابن كثيرا في تفسير هذه الآية قائلاً : يذكر الله تعالى أنه أرسل الرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل ، فلك يا محمد – ﷺ- في إخوانك من المرسلين إسوة ، فلا يهنك من تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذّبوا الرّسل فإنما حَملَهم على ذلك تزين الشيطان لهم ما فعلوه :«

[1] أبي عبد الله القرطبي-الجامع لأحكام القرآن-ج10-ص115

فهو وليّهم اليوم »أي :هم تحت العقوبة والنكال ، والشيطان وليهم ، ولا يملك لهم خلاصاً ، ولا صريخ لهم ، ولهم عذاب أليم[1] .

الشاهد و من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله «تالله » ، إلى ضمير التكلم في قوله « لقد أرسلنا » .

7/3 قوله عز وجل﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَالِكَ ءَلاَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلاَنْعَـمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّـرِبِينَ ﴾- النّحل 65-66.

جاء تفسيرها عند أسعد محمود حومد في تفسيرها كالتالي : بعد أن وعد الله المؤمنين الجنّة وأوعد الكفار بالنّار في الايات السابقة عاد إلى التذكير بالدلائل على وجوده سبحانه ، وعلى وحدانيته وكما جعل الله تعالى القرآن حياة للقلوب الميتة كذلك جعل الماء حياة للأرض ، فهو ينزّل المطر من السماء فيحي به الارض بعد موتها ، وفي ذلك آية لقوم يسمعون ويفهمون معناه ، وفي تفسير « الأنعام» و« سائغا للشاربين » ذكر المفسر بأن لكم يأيها النّاس في الأنعام آية وعبرة ، لبنا خالصا صافيا ، طيب المذاق والطعم لا يغص به شارب ، ولا تشمئز من نفسه « سائغا » ، بعد أن يتحول

[1] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير – مختصر ابن كثير-تح كريم راجح –دار المعرفة بيروت 1420هـ-1999م-ج1-ص668.

الطعام الحيواني في بطنه إلى دم ولبن وفضلات « فرث» فيجري كل إلى موضعه خالصا لا يشوبه الآخر ولا يخالطه ولا يؤثر عليه [1].

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « والله أنزل » ، إلى ضمير التكلم في قوله « نسقيكم ».

8/3 قوله عز وجل﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۖ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾ -النّحل 75

جاء تفسيرها عند الثعالبي كالتّالي : ضرب الله مثل المؤمن والكافر فقال عزّ وجل: « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيئ » ، وهو مثل الكافر رزقه الله ملاً فبم يقدر خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله تعالى « ومن رزقناه منّا رزقا فهو ينفق منه سراً وجهراً» وهو مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه فيما يرضي الله سرا وجهرا فأثابه الله على ذلك النّعيم المقيم في الجنّة[2] .

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « ضرب» ، إلى ضمير التكلم في قوله « رزقناه».

9/3 قوله عز وجل:﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُون﴾

[1] أسعد محمود حومد-أيسر التفاسير-ج1-ص544.

[2] إبراهيم الثعالبي-الكشف والبيان في تفسير القرآن-تح-سيد كسوري حسين -دار الكتب العلمية -بيروت-2004م-ط1-ج3-ص528

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ »، إلى ضمير التكلم في قوله «ويوم نبعث».

10/3 قولـــه عزوجـــل ﴿ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُون﴾- النّحل 58.

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله » ، إلى ضمير التكلم في قوله « زدناهم ».

3/ 11قولـه عـز وجـل ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾- النّحل 96.

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « وما عند الله » ، إلى ضمير التكلم في قوله « لنجزين».

3/ 12قوله عز وجل﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَيهُ وَهَدَيهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِى ٱلاَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾- النّحل 120-121.

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من ضمير الغيبة في قوله « إجتباه وهداه » ، إلى ضمير التكلم في قوله «آتيناه ».

4-الالتفات من التّكلم إلى الغيبة :

وهو لون آخر من ألوان الالتفات وما تضمنته السورة من هذا النوع نذكر :

4/ 1قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾-النّحل 36.

جاء تفسيرها على النّحو التّالي : بعث الله في كل أمة رسولا دعاهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ونهاهم عن إتباع الشيطان – الطاغوت – وعن عبادة الأوثان وعن الشرك بالله فمن النّاس من آمن واتّبع رسوله فاهتدى ومنهم من ضل واستكبر وعتا عن أمر ربه[1] .

وموضع الالتفات في هذه الاية يظهر في الانتقال من ضمير التكلّم في قوله «بعثنا »إلى ضمير الغيبة في قوله « من هدى الله » .

2/4 قوله عز وجل:﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾- النّحل51.

سبق تفسيرها آنفا ، وموضع الالتفات في هذه الاية يظهر في الانتقال من ضمير التكلّم في قوله « فإيّاي» إلى ضمير الغيبة في قوله « وله ما في السّماوات والارض» .

[1] أسعد محمود-أيسر التفاسير-ج1-ص636.

3/4قولـه عـز وجـل ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُون ﴾-النّحل56

سبق تفسيرها آنفا ، وذلك في سياق حديثي عن موضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، وموضع الالتفات في هذه الاية يظهر في الانتقال من ضمير التكلّم في قوله « رزقناهم» إلى ضمير الغيبة في قوله « تالله» .

4/4 قولـه عـز وجـل﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾-النّحل64-65.

جاء تفسيرها في مختصر ابن كثير على النحو التالي : قال الله تعالى لرسوله -ﷺ-، إنما أنزل عليك الكتاب لتبين للناس الذي يختلفون فيه ، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه «وهدىً» أي للقلوب ، «ورحمةً» أي لمن تمسك به « لقومٍ يومنون » ، « والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها إن في ذلك لأيةً لقومٍ يسمعون » ، وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها ، كذلك يحي الأرض بعد موتها بما أنزل عليها من السّماء من ماء ، « إن في ذلك لأية لقوم يسمعون » أي يفقهون الكلام ومعناه[1] .

[1] ابن كثير-مختصر ابن كثير-ج1-ص667-668.

وموضع الالتفات في هذه الاية يظهر في الانتقال من ضمير التكلّم في قوله «أنزلنا » إلى ضمير الغيبة في قوله «أنزل » .

5/4 قوله عز وجل :﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنَ اَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَـٰناً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَـٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبىٰ وَيَنْهىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النّحل – 89-90.

جاء تفسيرها عند القرطبي على النحو التّالي : « ويوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من انفسهم » بأنهم الأنبياء ، شهداء على أممهم يوم القيامة بأنهم بلغوا الرسالة ودعوهم إلى الإيمان ، وبأنه في كل زمان شهيد وأن لم يكن نبي ، وفي ذلك قولان : الأول أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء ، والثاني أنهم العلماء الذين حفظ بهم الله شرائع أنبيائه . «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيءٍ» أي نظيره ، وقال مجاهد : تبيانا للحلال والحرام [1] .

وأما بقية الآيات:« إن الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذّكرون» فجاء تفسيرها في مهذب الجلالين على النحو الآتي :

[1] أبي عبد الله القرطبي-الجامع لأحكام القرآن-ج-ص164

«إن الله يامر بالعدل»: التوحيد أو الانصاف ، « الإحسان » أن تعبد الله كأنك تراه ، وذلك كما في الحديث ، «إيتاء » : أعطاء ، «ذي القربى» : القرابة ، خصّه بالذِكر إهتماما به «ينهى عن الفحشاء» الزنا ،« المنكر» شرعا من الكفر والمعاصي «البغي»: الظلم للناس ، «يعظكم» : بالأمر والنهي ، «لعلّكم تذكرون»: تتعضون[1].

وموضع الالتفات في هذه الآيات يظهر في الانتقال من ضمير التكلّم في قوله «نبعث » ، «جئنا»إلى ضمير الغيبة في قوله «يآمر ».

4/ 6قوله عز وجل﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرِۭ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾- النّحل 101

جاء في مختصر ابن كثير تفسيرها كالتّالي : يخبر تعالى على ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم ، ولأنه لايتصور منهم الإيمان ، وقد كتب عليهم الشقاوة ، وذلك أنهم إذا رأوا تغير الأحكام قالوا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – «إنما أنت مفتر» أي كذاب ، وإنما الرّب يفعل مايشاء ويحكم مايريده . قال مجاهد : «وإذا بدلنا آية مكان آية » رفعناها وأثبتنا غيرها[2] .

موضع الالتفات في هذه الاية يظهر في الانتقال من ضمير التكلّم في قوله « بدّلنا» إلى ضمير الغيبة في قوله «والله أعلم بما ينزّل ».

[1] سعد ابن عبد الرحمن الحصين–مهذب الجلالين– دون دار طبع–2002م–ط1–ص281.
[2] ابن كثير –مختصر ابن كثير–ج1–ص680.

2- ثانياً/ الالتفات العددي :

كنت قد أشرت سابقا أن هناك من البلاغين من حصر أقسام الالتفات في الانتقال بين الضمائر فقط ومن هؤلاء الزمخشري والسكّاكي ، وهناك من وسّع أقسام الالتفات حتى شملت أنواعا أخرى كالانتقال من خطاب الواحد والإثنين إلى خطاب الآخر و غيرها ومن هؤلاء نذكر الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن[1] .

1 – الالتفات من الإفراد إلى الجمع :

ومن مواضع الالتفات من الإفراد إلى الجمع مما جاء في السورة أذكر :

1/ 1قوله عز وجل﴿ اَوَلَمْ يَرَوۡاْ اِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾- النّحل48.

جاء تفسيرها عند السعدي كالتّالي :

«أولم يروا» أي : الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله ، «إلى ماخلق الله من شيءٍ» أي : جميع مخلوقاته وكيف تتفيّأ أظلتها « عن اليمين والشمائل سجدا لله » أي : كلا ساجة لربها خاضعة لعظمته وجلاله «وهم داخرون» أي : ذليلون تحت التّسخير والتدبير والقهر ، مامنهم أحد إلا وناصيته بيد الله وتدبيره عنده [2]

[1] ينظر-الزركشي – البرهان في علوم القرآن –ص 334.

[2] عبد الرحمن السعدي- تيسير الريم المنّان-في تفسير كلام المنّان-ص404.

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من لفظ الإفراد في قوله «اليمين » ، إلى لفظ الجمع في قوله «الشمائل »

1/ 2قولــه عــز وجــل﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَـٰرَ وَالاَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾-النّحل78.

جاء تفسيرها عند السعدي قائلا : أي هو المنفرد بهذه النّعم حيث « أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » ، ولا تقدرون على شيئ ثم إنّه « جعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة » خص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم فلا يصل للعبد علم إلاّ من أحد هذه الأبواب الثلاثة ، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إيّاها ، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئا ، إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللاّئقة به ، وذلك لأجل أن يشكروا الله باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح ، في طاعة الله فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة[1] .

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من لفظ الإفراد في قوله «السمع » ، إلى لفظ الجمع في قوله «الأبصار »، «الأفئدة».

3/1 قولــــه عـــــز وجـــــل ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ اَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾- النّحل 97.

[1] عبد الرحمن السعدي-تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان-ص408

وجاء في تفسير هذه الآية :

أنه من عمل الأعمال الصالحة ، وقام بما فرض الله تعالى عليه وهو مؤمن بالله مصدّق لكتبه ورسله فإن الله عز وجل يعده بأن يحييه الحياة الطيبة التي تصحبها القناعة بما قسّم الله له ، والرضا بما قدّره الله وقضاه إذ هو يعلم أن ما حصل عليه من رزق إنما حصل له بتدبير الله تعالى وقسمته والله كريم لايفعل إلا مافيه المصلحة ، وفي الآخرة يُجزيه الله الجزاء الأوفى ويُثيبه أحسن الثواب جزاء ما قدّم من عمل صالح وما تحلّى به من الإيمان[1].

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من لفظ الإفراد في قوله «نحيِيَنهُ » ، إلى لفظ الجمع في قوله «نجزينهم » ، « وماكانوا ».

1/ 4قوله عز وجل ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتَ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَاتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾- النّحل112.

جاء تفسيرها عند القرطبي على النّحو التّالي :

«وضرب الله قريةً » هذا متصل بذكر المشركين وكان رسول الله –ﷺ–دعا على مشركي قريش ، « كانت آمنةً » لايهاج أهلها ، « يأتيها رزقها من كل مكان » من البر والبحر ونظيره «تجبى إليه ثمرات كل شيئ » ،«فكفرت بأنعم الله» : الأنعم جمع النعمة ، وقيل جمع نُعمى ، وهذا الكفران

[1] أسعد محمودحومد-أيسر التفاسير-ج1-ص654.

تكذيب لمحمد-ﷺ- «فأذاقها الله» أي : أذاق أهلها ، « لباس الجوع والخوف » سمّاه لباساً لأنه يظهر عليهم الهزل ، وشحوبة اللّون وسوء الحال ما هو كاللباس « بما كانوا يصنعون» أي : من الكفر والمعاصي[1] .

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من لفظ الإفراد في قوله «أذاقها » ، إلى لفظ الجمع في قوله «ماكانوا يصنعون ».

2- من الجمع إلى الإفراد :

وهو نوع آخر من أنواع الالتفات ومن أمثلة هذا النوع مما ورد في السورة :

1/2 قوله عز وجل﴿وَإِن لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّارِبِينَ﴾-النّحل 66.

جاء تفسيرها سابقا وذلك في سياق حديثي عن الالتفات من الغيبة إلى التّكلم .

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات فيها ظاهر من خلال الانتقال من لفظ الجمع في قوله « في الأنعام » ، إلى لفظ الإفراد في قوله «بطونه » .

2/ 2قوله عز وجل﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾-النّحل 108.

[1] أبي عبد الله القرطبي-الجامع لأحام القرآن-(بتصرّف)-ص193.

جاء تفسيرها عند بن عطيّة الأندلسي على النحو التّالي :

الآية عبارة عن صرف الله لهم عن طريق الله الهدى وإختراع الكفر المظلم في قلوبهم ، وتغليب الأعراض على نظرهم ، فكأنه سدَّ بذلك طرق هذه الحواس حتى لا ينتفع بها في اعتبارٍ ولا تأمل و{ السمع }، إسم جنس وهو مصدرٌ في الأصل لذلك وحّده ، ونبه على تكسبهم الاعراض عن النظر فوصفهم {بالغفلة }[1].

والشاهد من هذه الآية أن موضع الالتفات العددي بين الجمع والإفراد في هذه الآية يظهر من خلال مجيئ لفظة « سمعهم » بين جمعين « قلوبهم » ، «وأبصارهم » .

3-من الثنية إلى الجمع:

وهو لون آخر من ألوان الالتفات وقد ورد في هذه السورة في موضع آخر وذلك في قوله عز وجل:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ

سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۖ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾- النّحل 75.

جاء تفسيرها عند الثعالبي كالتّالي : ضرب الله مثل المؤمن والكافر فقال عزّ وجل :« ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شيئ » ، وهو مثل الكافر رزقه الله ملاً فبم يقدر خيرا ولم يعمل فيه بطاعة

[1] أبن عطية الأندلس-النحرر في تفسير الكتاب العزيز-تح عبد السلام عبد الشافي-محمد-دار الكتب العلمية بيروت1422مج-2001م-ط1-ج3-ص426

الله تعالى: « ومن رزقناه منّا رزقا فهو ينفق منه سراً وجهراً» وهو مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه فيما يرضي الله سرا وجهرا فأثابه الله على ذلك النّعيم المقيم في الجنّة[1] ، وقد عدّ بعض المفسرين قوله تعالى « عبداً مملوكاً» مثناة ، بهذا الاعتبار يصبح الالتفات العددي من الثتنية إلى الجمع ظاهر من خلال الانتقال من صيغة التثنية في قوله «عبداً مملوكاً» إلى صيغة الجمع في قوله «هل يستوون».

[1] ينظر-ابراهيم الثعالبي-الكشف والبيان في تفسير القرآن-ج3-ص528.

الجدول الإحصائي

- الجدول الإحصائي للالتفات بالضمائر والعدد في مما وجدته في سورة النّحل :

أ/ الالتفات بالضمائر :

1-التفات من الغيبة إلى الخطاب :

الآية	التفاتٌ من الغيبة	التفاتٌ إلى الخطاب
ٱلذِينَ تَتَوَفّيهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءِۭ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾	ٱلذِينَ تَتَوَفّيهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ	بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
أَوْ يَاخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾	أَوْ يَاخُذَهُمْ	فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ
لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾	لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ	فَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾	ۖ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ	عَمَّا يُشْرِكُونَ

2-التفات من الخطاب إلى الغيبة:

الآية	التفات من الخطاب	التفات إلى الغيبة
وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾	أَن تَمِيدَ بِكُمْ	هُمْ يَهْتَدُونَ
ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾	فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ	يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنَ اَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ اَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِالۡبَٰطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنَ اَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ اَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ	أَفَبِالۡبَٰطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰناً وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰناً وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ	فَإِن تَوَلَّوۡاْ

	عَلَيْكُم لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ	

3/التفات من الغيبة إلى التكلّم:

الآية	التفات من الغيبة	التفات إلى الخطاب
يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنَ اَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنَ اَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾	يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنَ اَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ	أَنَ اَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ
ٱلذِينَ تَتَوَفّٰيهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ	ٱلذِينَ تَتَوَفّٰيهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ	مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ

تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾		
﴿٤٠﴾ والذين هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلاَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾	والذين هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ	لَنُبَوِّئَنَّهُمْ
وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّـٰىَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾	إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ	فَإِيَّـٰىَ فَارْهَبُونِ
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾	بِرَبِّهِم يُشْرِكُونَ	بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ
تَاللَّهِ لَقَدْ اَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ اُمَمٍ مِّن	تَالله	لَقَدْ اَرْسَلْنَآ

فَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾		
وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾	وَاللَّهُ أَنزَلَ	نُّسْقِيكُم
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ	ضَرَبَ ٱللَّهُ	رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا

يَسْتَوُۥنَۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾		
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُوذَنُ لِلذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾	يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ	وَيَوْمَ نَبْعَثُ
ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾	ٱلذِين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ	زِدْنَٰهُم
مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلذِينَ صَبَرُوٓاْ	وَمَا عِندَ ٱللَّهِ	وَلَنَجْزِيَن

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾		
اِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ اُمَّةً قَانِتاً لِّلهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ أَلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِۚ إِجْتَبِيهُ وَهَدِيهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي اِلدُّنْيا حَسَنَةًۚ وَإِنَّهُۥ فِي اِلآخِرَةِ لَمِنَ أَلصَّٰلِحِينَ	اِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ اُمَّةً قَانِتاً لِّلهِ	وَءَاتَيْنَٰه

4-إلتفات من التكلم إلى الغيبة:

الآية	التفات من التكلم	التفات إلى الغيبة
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ اُمَّةٍ رَّسُولًا اَنُ اٰعْبُدُواْ اُللَّهَ	وَلَقَدْ بَعَثْنَا	فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى أُللَّهُ

وَاجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾		
وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾	فَإِيَّٰىَ	وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾	مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ	تَالله

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾	وَمَا أَنزَلْنَا	وَالله أَنزَلَ
وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾	وَيَوْمَ نَبْعَثُ وَجِئْنَا وَنَزَّلْنَا	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ
وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟	وَإِذَا بَدَّلْنَآ	وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ

إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾		

ب–الالتفات العددي:

1–التفات من الإفراد إلى الجمع:

الآية	التفات من الإفراد	إلتفات إلى الجمع
اَوَلَمْ يَرَوِاْ اِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾	ٱلْيَمِين	ٱلشَّمَآئِل
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَـٰرَ وَالاَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ	ٱلسَّمْع	وَالاَبْصَـٰر وَالاَفْـِٔدَة

تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾		
مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ اَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾	فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ	وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

2-التفات من الجمع إلى الإفراد:

الآية	التفات من الجمع	التفات إلى الإفراد
وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلاَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾	ٱلاَنْعَٰم	بُطُونِهِۦ
ٱوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ	قُلُوبِهِم	سَمْعِهِم

فُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾		

3-التفات من التثنية إلى الجمع:

الآية	التفات من التثنية	التفات إلى الجمع
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُۥنَۖ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾	عَبْداً مَّمْلُوكاً	هَلْ يَسْتَوُۥنَۖ

خاتـــــــــمة

في الأخير وكخلاصة لهذا العمل استنتجت جملة من النتائج لعل أهمها :

- تعددت صور الإعجاز وتنوعت ولعل أهما الإعجاز البياني .
- تنوعت مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم وتعددت ومن بين تلك المظاهر : الخصائص العامة للأسلوب القرآني ،الخصائص المتعلقة بجمال المفردة القرآنية ، القصص القرآني ، التكرار .
- اهتم الكثير من علماء العربية وغيرهم بالدراسات القرآنية قديما وحديثا وألّفوا فيها العديد من الكتب .
- من صور الإعجاز البياني في القرآن أسلوب الالتفات.
- موضوع الالتفات من الأساليب البلاغية التي اختلف فيها البلاغيون حول أي باب يدرجوه ، حيث وهذا ما لمسناه في كتبهم فمنهم من أدرجه في باب المجاز ومنهم من يدرجه ضمن باب شجاعة العربية ومنهم من يدرجه ضمن باب المعاني .

تعدد مفهوم الالتفات عند أصحاب المعاجم وهو لا تخرج عن إطار الانصراف والتحول،كما أن هذا الأسلوب تناوله البلاغيون بصيغ وأسماء مختلفة مصطلحات أهمها : الانصراف- الاعتراض-الترك- الاستدراك- الانتقال.

تناول المحدثون أسلوب الالتفات كتناول أسلافهم القدامى والاختلاف بينهما كان طفيفا.

تختلف أقسام الالتفات من بلاغي إلى آخر فمنهم كم حصرها في الضمائر ومنهم من وسع دائرة الأقسام كالانتقال بين الأعداد.

من أهداف الالتفات تعظيم شأن المخاطب التنبيه على حق الكلام- الاهتمام والتوبيخ.

وفي الدراسة التطبيقية لسورة النحل قمت باستخراج الآيات القرآنية التي ظهر فيها الالتفات مع تفسير كل آية وشرح نوع الالتفات.

تزخر سورة النّحل بأساليب الالتفات خاصة فيما يتعلق بنوع الضمائر وهذا ما وضحته في الجدول الإحصائي.

لم أعثر من خلال وقوفي على سورة النّحل على بعض الأنواع التي استهلتها في الجانب النظري.

وختاما أسأل الله عزّ وجل أن يجعل هذا العمل بداية طريق ومفتاحا لدراسة أخرى ينتفع بها طالب العلم.

قائمة المصادر والمراجع

-المصحف الشريف.

-إبراهيم أنيس وآخرون – المعجم الوسيط – ط2-ج11.

2-إبراهيم الثعالبي-الكشف والبيان في تفسير القرآن-تح-سيد كسوري حسين –دار الكتب العلمية –بيروت-2004م-ط1-ج3.

3- ابن الأثير– المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر – تح : أحمد الحوفي وبدوي طبانة – دط – مطبعة الرّافعي – الرياض -1983م –ط2-ج2

4- ابن رشيق الأزدي – العمدة في محاسن الشعر ونقده – تح محمد محي الدين عبد الحميد – دط دار الجليل –بيروت -1981م-ط5.

5-أبن عطية الأندلس-النحرر في تفسير الكتاب العزيز-تح عبد السلام عبد الشافي-محمد-دار الكتب العلمية بيروت1422مج-2001م-ط1-ج3.

6-ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن –نقلا عن البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية – حسين أبوموسى .

7- ابن منظور – لسان العرب –مادة (ل ف ت) – دط دار صادر – بيروت – دت- مج 2- ج2 .

8-أبو بكر الباقلاني –إعجاز القرآن –إعداد ممدوح حسن محمد –تح – طه عبد الرؤوف سعد – دط –دار الأمين – القاهرة – دت – ط1 .

9-أبو السعود- تفسيرأبو السعود المسمى إرشاد العاقل إلى مزايا القرآن الكريم –دار المصحف – لبنان –دط-ج5.

10- أبي عبد الله القرطبي- الجامع لأحكام القرآن -دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-مج05

11--أبو الفداء إسماعيل ابن كثير – مختصر ابن كثير-تح كريم راجح –دار المعرفة بيروت-1420هح-1999م-ج1.

12-- أبو منصور الثعالبي – فقه اللغة وسر العربية –تح ياسين الأيوبي – دط المكتبة العصرية – بيروت -2000م –ط2.

13- أبو هلال العسكري – الصناعتين – تح : محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم –دط – دار الفكر العربي –دت –ط2.

14--أحمد بن فارس –معجم مقايس اللغة –تح عبد السلام هارون – مط مصطفى البابي الحلبي – ط2 سنة 1969م –مج 4.

15- أسعد محمود حومد-أيسر التفاسير-تح -إبراهيم السلقيني-دمشق-2004-ط4-ج1.

16- الألوسي –روح المعاني في تفسير القرآن العطيم والسبع المثاني-دار إحياء التراث العربي-ج14.

17- بدر الدّين الزركشي – البرهان في علوم القرآن -ترجمة محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى –القاهرة -1957م.

18- البيضاوي-حاشية شهاب الدّين المسماة –عناية القاضي وكفاية الرّاضي-دار صادر-دت-ج5.

19- جلال الدين السيوطي-الإتقان في علوم القرآن-تح أحمد بن علي –دار الحديث-ج4-2004م.

20- الجوهري – الصحاح – دار الحظارة العربية – بيروت – الجزء الثاني .

21- حسن طبل – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية –مط- دار الفكر العربي – القاهرة -1998م.

22- الخطيب القزويني – الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع- تر: إبراهيم شمس الدين –منشورات علي بيضون –دط – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – دت.

23- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن سري –معاني القرآن وإعرابه- تح-عبد الجليل عبده شلبي- عالم الكتب- بيروت-1988-ط1-ج3.

24- الزمخشري – أساس البلاغة -دار المعارف للإنتاج والتوزيع –بوفاريك – البليدة -الطبعة الأولى - 2003- الجزء الأول .

25- الزمخشري – الكشّاف –تح : خليل مأمون شيحا –دط- دار المعرفة بيروت -1430هج-2009-ط 2.

26- سعد ابن عبد الرحمن الحصين-مهذب الجلالين- دون دار طبع-2002م-ط1.

27- سيد قطب – في ضلال القرآن –دط- دار الشروق – ط10-1982-مج 4-ص 2158.

28- الشريف الجرجاني – معجم التعريفات –تح محمد صدّيق المنشاوي – دط دار الفضيلة – القاهرة – دت.

29- شوقي ضيف – البلاغة تطور وتاريخ – دار المعارف – القاهرة –دت –ط9.

30-الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – مط – الدّار التونسية –تونس – 1984

31-عبد الجليل مرتاض- العربية بين الطّبع والتّطبيع-ديوان المطبوعات الجامعية-1993م

32-عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني –العقيدة الإسلامية وأسسها-دارالقلم-بيروت-ط2-1979م.

33-عبد الرحمن السعدي-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-تح-حبد الرحمن اللويحق-دار الإمام مالك-الجزائر-2009-ط1.

34-عبد العزيز قليقلة -البلاغة الإصطلاحية -دار الفكر العربي القاهرة -412هج/1992م-ط3

35- عبد القادر حسين – فن البلاغة –دط- دار عالم الكتب – دت – ط1.

36- عبدالقاهر البغدادي –أصول الدين-ط1-استانبول- مط الدولة -1928م.

37- عبد الله بن المعتز- كتاب البديع – تر: اغناطيوس كراتشفوفسكي –دط دار المسيرة – بيروت -1982 م-ط3 .

38- عبد الله الزركشي – البرهان في علوم القرآن-مط- دار الثرات- القاهرة –تح : محمد أبو الفضل إبراهيم-دت –ج3-ص334.

39- عثمان بن جني – الخصائص –تح : عبد الحميد هنداوي –دط دار الكتب العلمية –بيروت –دت – ط3-م2.

40- عمار ساسي - الإعجاز البياني في القرآن الكريم - دراسة نظرية للإعجاز في الآيات المحكمات - دار المعارف للإنتاج والتوزيع –بوفاريك – البليدة -الطبعة الأولى - 2003- الجزء01

41- فخر الدين الرازي-تفسير الفخر الرازي- دار الفكر-بيروت-1981م-ج20.

42- الفيروز أبادي – القاموس المحيط - مادة (ل ف ت) – تح محمد نعيم العرقسوسي – دط مؤسسة الرسالة – بيروت -ط8- 1426هج /2005م

43- محمد حسين أبو موسى البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري-وأثرها في الدراسات البلاغية – دار الفكر العربي-

44--التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – دط – مطبعة السعادة -1984- ج14.

45- محمد علي الصابوني-البيان في علوم القرآن-دار شهاب.

46- مصطفى صادق الرافعي-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية-تاريخ آداب العرب-دار الكتاب العربي-ج02.

47- مصطفى القجوي الحنفي –حاشية محي الدين تبع زاده – تح – محمد عبد القادر شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت- 1999-ط1-ج5

48- مصـــطفى مســـلم – مباحـــث في إعجـــاز القـــرآن –دار مســـلم –الريـــاض – ط2- 1416/م1996

49- نعيم الحمصي-فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر-مؤسسة الرسالة-ط 2

فهرس
الموضوعات

-المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ-ج
مدخل	25-10
الفصل الأول:أسلوب الالتفات.	51-27
1- ماهية الالتفات	27
-مفهوم الالتفات لغة	27
- مفهوم الالتفات اصطلاحا	28
2- أراء القدماء والمحدثين	41-29
-آراء القدامى	37-29
-آراء المحدثين	41-38

3- أقسام وأهداف الالتفات	**51-42**
-أقسام الالتفات	48-42
-أهداف الالتفات	51-49
الفصل الثاني : صور الالتفات في سورة النحل	**66-53**
1- تعريف السورة	**54-53**
2- موضوعات السورة	**57-54**
3- صور الالتفات في السورة	**82-58**
*الالتفات بالضمائر	76-58
-الالتفات من الغيبة إلى التكلم	60-58
-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	65-61

-الالتفات من الغيبة إلى التكلم	72-65
-الالتفات من التكلّم إلى الغيبة	76-73
* الالتفات العددي	82-77
-الالتفات من الإفراد إلى الجمع	77-80
-الالتفات من الجمع إلى الأفراد	81-80
-الالتفات من التثنية إلى الجمع	82-81
الجدول الإحصائي	96-84
خاتمة	99-98
قائمة المصادر والمراجع	106-101
الفهرس	110-108